

تَلَايُحُ الْيَمِينِ الْجَدِيدِ

(فَترَةُ خُرُوجِ الْعُثَمَانِيِّينَ الْأَخِيرِ)

١٥٣.٣٥٥

٣٥٣
٣

تأليف : عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُحَسِّنِ الْعَزَبِ

تحقيق
عبد الله محمد الجبشي

الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

الهيئة العامة للكتاب - مكتبة الأمانة العامة
رقم التوثيق ١٥٣.٣٥٥
رقم التسجيل ٤٢٦٩٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لا بد لنا ونحن نستطلع مصادر التاريخ اليمني الحديث أن نقف عند المواجهة الشجاعة لأهل اليمن في وجه الأتراك، وما ساهمت به الكتابات اليمنية من مؤلفات تاريخية كبيرة، ترصد تلك الأحداث البطولية التي نادراً ما تتفق لشعب واحد غير اليمن، فهناك الملاحم الخالدة التي حفلت بها متون التاريخ اليمني من منذ مؤلفات المؤرخ اليمني الكبير المطهر بن محمد الحرموزي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ حتى كتابات المؤرخ اليمني المعاصر محمد بن محمد زبارة المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ.

وهو حشد كبير من الإنتاج يستصعب حصره الباحث النشط وتكلّ عنده المطابع، ولا بأس من أن نقف من حين لآخر عند بعض الكتب المحقّقة التي تفاجئنا بها المطابع من ذلك الحشد الكبير، ولكنه ليس كل الانتاج ولا اهمه.

وكان أكثر ما كتب في هذا المجال يتعلق بالتصديّ الأول لقدم الأتراك الى اليمن في القرن العاشر، ثم تنطوي قرابة قرنين من الزمن تكون البلاد فيها قد نعمت باستقلالها وحريتها، حتى يأتي النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وتعاد الكرة لصراع أهل اليمن مع العثمانيين وهي معارك كبيرة وطويلة لا تقل بطولة وإقداماً عن سابقتها.

لكن المصادر لا تسهم بالشيء الكثير من الوصف والتدوين لتاريخ

تلك المواجهة الأخيرة، وهي بضعة كتب، كان من أهمها تاريخ الحرّازي وتلميذه والزبيري الذي تأتى لنا نشر كتابه، ما عداهما لا يكاد يذكر سوى ما كان من سير لأئمة هذه الفترة التي نعنيتها.

ومع ان اليمن عاش في العصر الحديث وشهود الصحف والمجلات الدورية التي ترصد الأحداث وأخبارها إلا أنه لم يحظ بشيء منها، ولم يبق امامنا سوى تلك الأعمال الفردية التي تجرد لها رجال مخلصون من المؤرخين اليمنيين، ومن ثم كان البحث عن تلك المصادر المكتوبة مهما كان نوعها وميولها ضرورة حتمية لطالب البحث في هذا المجال.

ولحسن الحظ سلمت لنا بعض المصادر من عادات الزّمان وبقيت متشبّثة بأصولها من مسودات كتبها مؤلفوها او انتسخت عنها وهي قليلة ونادرة جداً.

ومن بين تلك الأصول التي نعنيتها هذا الذي بين يديك وقد احتفظ بخط مؤلفه كما أرادته وبيّضه.

ومؤلف هذا الأثر النفيس نظن أنه الأديب والمؤرخ اليمني الكبير عبد الله بن محسن العزب أحد رجال اليمن الأحرار الذين جمعتهم مجلة الحكمة بكتاباتها الحرّة الإصلاحية.

وعلى الرغم من ان الكتاب لا يحمل اسم مؤلف أو عنوان، ولا حتى ديباجة تشرح الكتاب وأهدافه ومضامينه فقد أكّد لي شيخنا العلامة احمد بن محمد زبارة أنه خط الأستاذ العزب المذكور وتأييد لي هذا من خلال تنسم نفس الكاتب وأسلوب تعبيره الذي وقفنا عليه أولاً على صفحات مجلة الحكمة ونشر في كتاب مستقل عن هذه المجلة.

عبد الله العزب

ترجم له الأستاذ الدكتور عبد العزيز المقالح فقال:

ولد عبد الله العزب في قرية السفيناني من قرى الحيمة الداخلية عام ١٩٠٣م تقريباً. ونشأ يتيماً فقد اختطفت المنية أباه قبل أن يرى الطفل النور، وفي سن الصبا المبكر حمله عمه إلى مركز الناحية «العر» وهناك تلقى دراسته الأولى، وأظهر تفوقاً دفع بالعم إلى الانتقال به إلى صنعاء لاستكمال تعليمه في المدرسة العلمية (دار العلوم) وليكن على صلة بعلماء العاصمة الذين أحسنوا رعايته وعجبوا من استعداده الفطري لاستيعاب مختلف العلوم اللغوية والفقهية والكلامية وكان ذكاًؤه اللامح وتوجهه المتألق جناية عليه، فقد أدرك في وقت مبكر فساد النظام الحاكم، وسوء القيادة وما كاد يتخرج من المدرسة حتى استقبله «سجن القلعة» بتهمة اختصار القرآن مع عدد من زملائه الثائرين والمتمردين على نظام الإمام يحيى.

ثم خرج العزب من السجن رافع الرأس قوي الإيمان، وعندما ظهرت «الحكمة» كان واحداً من أبرز كتابها، في نفس الوقت الذي كان ينظم عدداً من القصائد الثائرة التي تحول إلى منشير غاضبة ضد الإمام وحكمه، وقد عمل مدرساً ثم مفتشاً تربوياً، في حقل التعليم، وعندما اشتد نشاطه رأى الإمام إبعاده عن العاصمة واختار له منصب القضاء في مدينة «حيس» في ظروف صحية سيئة. ولم يقض، في منصبه سوى عامين، ثم أدركته الحمى وفي تعز التي حملوه إليها للعلاج لقي وجه ربه عام ١٩٤٤.

تلك حياة مؤلفنا العلامة العزب كما أجملها الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه أحمد الحورش ص ١٧٤ ومن الغريب أنها سقطت من كتاب نزهة النظر مع ان مؤلفه كان من المعاصرين والمشاركين له في البحث التاريخي.

وقد سألت ابن المؤرخ زبارة شيخنا العلامة أحمد بن محمد زبارة ترحمه للمذكور فأحالني على كتابه مستدرك نزهة النظر ومنه اهل حصد، الترجمة كاملة لما فيها معلومة هامة يقول:

عبد الله بن محسن العزب مولده سنة ١٣٣١ هـ والتحق بالمدرسة العلمية عند فتحها سنة ١٣٤٤ هـ وهو مراهق بالقسم الأول وتدرج في مناهجها بسرعة وظهر نبوغه وفاق اقرانه وتخرج منها بتفوق ودرس ايضاً لدى القاضي لطف الزبيري وسيدنا حسين العمري وطالع كتب الأدب والتاريخ والكتب العصرية والصحف وكان صريحاً ينتقد بصراحة فحسب مع احمد المطاع ومحمد المطاع وعلي الشماحي والعزي صالح السنيدار ومحمد المحلوي وغيرهم ولما حبسوا اختلق الغوغاء اسباباً لحبسهم بأنهم اختصروا القرآن وسموهم «درادة» يهود منحرفين. ولعله أول حبس للأحرار وكان كاتب الأحرف احمد بن محمد زبارة يزورهم الى القلعة بسهولة واعطيتهم الصحف وفيها مقالات لمحمد علي الطاهر ولمحيي الدين العنسي ولوالدي المؤرخ زبارة من بغداد سنة ١٣٥٤ وأرسل اليهم هدايا كعنب وغيره. ثم كتبوا الى الإمام يحيى استعطافاً وتوبة يرجون اطلاقهم، فأجاب بخطه:

اصلى الله شأنكم صدرت «التصفية» للإمام يحيى بن حمزة في علم الباطن انسخوها وطالعوها لتصلح الباطن والظاهر.

ثم راجع لهم السيد قاسم العزي والقاضي راغب وغيرهما فاطلقوا. وتعين العزب حاكماً لحبس وعلي الشماحي لوصاب السافل ومات به. اما العزب فسار في حكومة حبس سيرة محمودة بالعفة وعدل فحمدته الناس واحبوه لا سيما الشهيد الحاج الخادم غالب فقد أعانه بكل شيء وجعل له في ارباح تجارته ثم مرض بحبس بالسّل وكان صديقه الحميم القاضي علي الزنداني عنده فأوصله الى مستشفى تعز مع الحاج الخادم غالب. وهناك توفي سنة ١٣٦٥ هـ.

وممن رثاه الأديب الكبير احمد بن محمد الشامي تلميذه بهذه المراثية:

الفواد الطاهر الأهوى ذاب والشباب الساطع الأضواء غاب
فالسماء تبحث عن كوكبها والهوى يبكي على القلب المذاب

لكل روح وثبت من سجنها
بالحا جوهرة ما سطعت
وانطوى قلبي على حسرته
يا له من نبا كان على
مات (عبد الله) من كان له
ويراع جمع الفن به
وفؤاد وسع الدنيا فما
اين انت اليوم بالله اجب
قد عهدناك حكيماً صادقاً
هات حدثني عن الروح وما
اهي في الجسم سجين فإذا
ما وراء الموت ما عالمه
صف لنا الخلد وصف جناته
المعري لم تكن اوصافه
فإذا كنت سميعاً فأجب
أسفاً أبكيك بالشعر كما
كنت عبد الله في عالمنا
ترسل الشعر فتشجينا به
يتلقاه بقلب ثابت

وتعالت عن جراثيم التراب
بالسنا في تاج سلطان مجاب
يثلوي تحت أنياب المصاب
مسمعي اعنف من طعن الحراب
مقول فذاً إذا قال اصاب
منطقي الحر الى فصل الخطاب
ضاق إلا بالخطايا والكذاب
ان يكن في وسعك اليوم جواب
طاهر المنطق عن مبن وعاب
حالتها ان غادرت دنيا التراب
وثبت راق لها العيش وطاب
انعم ام شقاء وعذاب
وصف النار واحوال العذاب
وهي حق بل خيال وارتياب
آه يا ليتك تستطيع الجواب
يندب الشيخ ملذات الشباب
بلبلاً بل كنت للشعر لباب
وتغنيننا الأناشيد العذاب
صادق العزم جري لا يهاب

انتهى ما وجدته في كتاب العلامة احمد زبارة وحياة مؤلفنا قصيرة
وسعها ذكاؤه واقدامه وهو صاحب ريادة في تاريخنا الأدبي لا تجهل فهو أول
من استفاد من المبهج العلمي الحديث لعله افاده في الأساس من قراءاته
المتكررة لأدباء البلاد العربية المعاصرين له في مصر والشام والعراق وقد
جرب الكتابة في المجالات اليمنية لأول مرة في تاريخ الفكر الأدبي
الحديث في اليمن وهو بهذا يستحق الريادة. وقد اثبت فيما كتبه ان ابناء

اليمن يستطيعون مجاراة الأدباء العرب في أساليبهم العصرية .

ومع أن الأيام لم تمهله كثيراً فقد باشر الكتابة في الحكمة قبيل وفاته بست سنوات ، وكتب مؤلفه هذا الذي بين يديك في السنة التي مات فيها . إلا أنه أعطانا صورة واضحة عن منهجه العصري نستطيع أن نجزم بأنه فاتح هذا الباب في اليمن قبل ان تعرف البلاد الجامعات والمناهج العلمية الحديثة بعشرات السنين .

وكتابه الذي نقدمه الآن دليل قوي على ما نقول فهو وإن بناه على أسلوب الحوليات الذي عرفته كتب التراث التاريخية يمزج السرد بالتحليل العصري الدقيق ، ويجعل الحوادث مدخلاً لنقده وتمحيصه ، وكأني به وهو يكتب مؤلفه هذا وقد أحس بجدوى العمل الذي يقوم به وتجديده ينبهنا على ما أدركناه نحن ويقول في آخر فقرة من كتابه :

«هذا ما آثرنا تطريز هذا القسم الثاني به وهنا انتهى بنا القول على القسم الثاني من الكتاب وقد شمل كما رأيت جميع الحوادث والشؤون . . . وسنبداً في القسم الثالث من كتابنا هذا متوخين الطريقة التي سلكتها في القسمين اللذين فرغنا من العمل فيهما من الميل الى الإيجاز مع الإلمام بأطراف الحوادث ولبابها باذلين الجهد في حسن تنسيقها وربطها بوثق الإئتلاف والإنسجام حريصين على سرد علل الحوادث وبيان آثارها واطوارها ليكون هذا الكتاب مؤدياً للحاجة التي ينشدها قراء التاريخ ويهواها رواد البحث ويجنح اليها ذوق العصر وأسلوب التاريخ الحديث» .

فذوق العصر وأسلوب التاريخ الحديث هو ما نعنيه من منهج البحث العلمي ولم يكن كلام المؤلف دعوى بدون برهان فقد إيدته الشواهد العديدة التي حفل بها كتابه .

ويتجلى نفس المؤلف الثوري عندما يؤرخ للإنقلاب العثماني ويهمل فرحاً بانتصار الحق على استبداد الحكام كما فرح به زملاؤه الأحرار واحتذوه

في ثورتهم التي جاءت بعد موت مؤلفنا بسنتين ونسمعه يقول:

«وما اطلت ايام رجب من هذا العام إلا والانباء تترى من وراء البحار بحوادث الاستانة وما جرى فيها وتلهج بذكر الانقلاب الخطير الذي شغل افكار العالم في شرق الأرض وغربها فقد نجحت مساعي رجال جمعية الاتحاد والترقي بعد فصول تاريخية طويلة واضطر السلطان عبد الحميد الى إعلان الحكم الدستوري مكرهاً ونزل على إرادة الأمة مرغماً. . وهذا كما تعلم إنقلاب له معناه وله آثاره فإن الحكومة العثمانية كانت مسخرة لإرادة الذات الشاهانية ولا راد لما قضت فلما حدث الإنقلاب التاريخي اقتضى ذلك قلب نظام الحكومة في أساليب الحكم وأوضاع الحكومة الداخلية والخارجية والحربية والمالية والثقافية والإقتصادية وانتهاج سياسة جديدة».

ومع ان الكتاب ألفه في حياة الإمام يحيى فهو حينما يؤرخ يسند الأعمال في الغالب لأهل اليمن على خلاف العادة في مؤرخي ذلك الوقت ونجد عبارات تتردد في كلامه لا عهد لنا بها من قبل كالشعب والثورة والعروبة والوطن إلى غير ذلك.

ولما كان مؤلفنا أديباً قبل أن يكون مؤرخاً نجد المزاجية بين الفنين تتحلى من حين لآخر ونسمعه معبراً:

«وأضيف إلى هذه الإعتبارات ما تجريه الإدارة العثمانية في البلاد التي تسيطر عليها من أعمال العنف والجبروت وشدة النكالة بالرية. . لذلك كان العمل في بث العصابات وتجهيز الأمراء واستنفار الذين وهبوا انفسهم واموالهم لهذه الدعوة وكان العمل متعدد الصور شتى الألوان مختلف الأساليب وكل ذلك يرجع إلى صورة واحدة وهي مطاردة العدو وإخافته وإنزال الضربات برجاله ومن يواليه في الطرق والمدن والقرى وفي الشعاب والجبال وفي البيوت والأدغال حرب وطنية املتها الظروف لأن الخصم عنيد ومزود بأسلحة فتاكة» إلى آخر تعبير مؤلفنا الأدبي.

وكذا نجده يمزج بين الأسلوب التاريخي المجرد وبين التحليل الناقد للأحوال والأحداث كباحث معاصر لأساليب البحث العلمي خذ مثلاً من ذلك قوله :

«وسنلم بالحديث إماماً مقتضياً من كل ما جرى في الميادين التي ذكرنا وسنؤثر الإجمال لا التفصيل والإشارة لا التطويل ليتم لنا ما نرمي اليه من ربط الحوادث وتعليلها وبيان آثارها في أسلوب متسق وبيان مجتمع غير مفترق».

ومع ما اتسم به من حماس وطني في وصف التاريخ وثورات اهل اليمن على العثمانيين بحده ينصف الخصوم في مواطن انصافهم والثناء عليهم ويقول في بذل العثمانيين الجهد في حماية العاصمة وحراسة الأهالي إبان اشتداد ثورات المجاهدين .

«وقد قابل الأتراك هذه الحركات العسكرية الكبيرة برباطة جأش في صنعاء فصبروا وسهروا على حراسة الأبواب ومداخل العاصمة وعوراتها وبذلوا كل جهودهم في الدفاع عنها».

بقي علينا ان نشير أن المؤلف كتب تاريخه سنة ١٣٦٣ والبلد تشهد غمائية اقتصادية والحرب العالمية تنذر بمستقبل قاتم فألف تاريخه من وضع غير صحي واغلب الظن احد اجزاء لجنة التاريخ التي تأسست سنة واضطلع بكتابة مراحلها نخبة من علماء اليمن ومثقفوها .

فكتب القسم الجاهلي العلامة الأديب عبد الوهاب .

والقسم الاول من صدر الإسلام حتى القرن الثالث المؤرخ اليمني المعروف محمد بن محمد زبارة .

والقسم الثاني من التاريخ من القرن الثالث حتى ظهور الدولة القاسمية

سنة ١٠٠٦ المفكر اليمني والمؤرخ الشهيد احمد بن احمد المطاع احد
احرار اليمن الكبار.

والقسم الثالث من سنة ١٠٠٦ حتى سنة ١٣٠٧ هـ المؤرخ العلامة
عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ويوجد صحة ما كتبه في مكتبة جامع
صنعاء.

والقسم الرابع لعله اضطلع به اثنان احد هما لا نعرفه والآخر هو
مؤرخنا الأديب عبد الله بن محسن العزب وهو هذا الذي بين يديك وقد بدأ
تاريخه من بعد معركة شهارة سنة ١٣٢٣ هـ حتى سنة ١٣٣٦ وفيه نبذة من
حركة الإدريسي وقد قسمه الى ثلاثة اقسام:

القسم الأول من سنة ١٣٢٣ حتى صلح دعان سنة ١٣٢٩ هـ.

والقسم الثاني من سنة ١٣٢٩ حتى ١٣٣٦ وما فيها من احداث كبيرة
وكان المؤلف ينوي ان يكتب القسم الثالث لما تلا هذه السنة من احداث
ولم يمهل قدر فالذي بين ايدينا ينتهي عند حوادث السنة المذكورة والله
اعلم.

والكتاب كله بخط مؤلفه الجميل المتناسق ويقع في ١٢٣ صفحة من القطع
المتوسط.

وقد بذلنا جهداً في إخراج الكتاب ونسخه والتعليق عليه آملين أن
يكون خدمة وطنية خالصة لوجه الله مفيدتين للمتشوقين لتاريخ اليمن وامجاده
العظيمة وبالله التوفيق.

عبد الله محمد الحبشي

(القسم الثاني من الكتاب)

انتهى القسم الأول من الكتاب بمناهضة دغان والالتحاق على نصوصها
وهذا جدد القول في القسم الثاني الذي يشمل حوادث الاغرام
التي تلت عام ٤٩ الى ان انتهت الحرب العالمية الأولى وبانتهاؤها
انتهت القوات التركيه عن اليمن ومن سائر بلاد العرب الى الأبد
وتسليم جلالة الامام بجميع شؤون البلاد وانتقل الى صنعاء عاصمة
البلاد اليمنية ليرد فيه الشئون الداخلية وأثر رجعية ويواجه
الأمور من كتب ويصلح ما افسدتة الحروب والمنازعات المتطاوله
في هذه القطر ونحوه الى القول في الموضوع الذي نتجمل البيان
له ونقول ان هذه نه دغان تمت على الصفة التي اوضحناها
ثم وضعت موضع التنفيذ والعمل فهدأت الاحوال واطمأنت
النفوس واستند جلالة الامام اعمال القضا في العاصمة وغيرها
الى اعلام مزار الجار فأخذوا يباشرون الأعمال وجلسوا على
كراسي القضا يعضلون القضايا ويحكمون في كل ما شجر بين
الناس من خلاف وساد الامر بالمعروف وحوربت المنكرات
وتوارى اصحاب الدعارة والبطالة واحاط بهم الرعب اذ ان
الشرع واقف لهم بالمرصاد يكاسبهم على جرائمهم وسيئاتهم

احدى صفحات المخطوط

انتهت معركة شهارة^(١) بفوز الأحرار المجاهدين بعد ان اشرأبت إليها الأعناق، وأصاحت إلى انبائها الأسماع، وتراجع العدو صاغراً، ونكص على عقبه خاسراً، وأسفرت المعركة التي علق عليها العثمانيون آمالهم، بما أدمى قلوبهم، وأوهن قواهم، وفَتَّ في عضدهم، وانفسح الأمل أمام المجاهدين لإنقاذ وطنهم، واشتعلت فيهم عوامل الغيرة والحماسة، فاندفعوا يطهرون المواقع المجاورة لشهارة، ويطاردون الأعداء مطاردة متواصلة، واشتبك الفريقان في معارك خفيفة في سوق الثلوث^(٢) والجيازرة^(٣) وجبل شام^(٤) كان العدو يدبرها ليظفر بالسلامة في تراجعته وقد تكبدت القوات العثمانية في هذه المغامرة الجريئة خسائر فادحة وغنم المجاهدون غنائم ما كانت لتخطر لهم على بال، من أسلحة جديدة وامتعة ثمينة، ونقود كثيرة وبغال غير قليلة، وتتابعَت كُرَّات المجاهدين، حتى أنحاز القائد العثماني إلى بلاد السود^(٥) مع فلول جيشه، وقد أصبحوا نهباً مقسماً يحيط بهم

(١) حصن مشهورة في بلاد الأهنوم.

(٢) قرية على مسافة ثلاثة فراسخ من شهارة.

(٣) جبل في الأهنوم شمال صنعاء.

(٤) من تلك المواضع.

(٥) بالضم مدينة شهيرة بالشمال الغربي من عمران لمسافة ٤٤ ك. م (المقحفي: معجم المدن والقبائل اليمنية ص: ٢١٦).

الرعب، ويستولي عليهم الذل، وتضيق بهم الديار وقد كان لهذا الانتصار الوطني رنة فرح، وصوت سرور جلجل في زوايا القطر، وجاب سهوله ونجوده، وبعث العزائم في النفوس.

وتبليغاً لهذا النصر العظيم نشر من المقام الإمامي المتوكلي المنشور. الذي ننقله بنصّه، بلاغاً وذكرى لكل وطني غيور.

وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، صدورها مبشرة إلى كل بلاد، بما من به رب العباد، لما تقدم (فيضي)^(١) على شهارة المحروسة بالله تعالى، هزمه الله هزيمة بعد هزيمة، حتى ما وقعت في محلة، ولا نفعه جمعه الذي غالب به الرحمن، وأراد به للعرب الذل والهوان، وإلى الآن، وقد دارت عليه وعلى فريقين من رجاله الأنصار، وضويق في الأنجاد والأغوار، حتى ترك ثلاثة من المدافع التي جلبها لأضرار العرب، ومغالبة الرب، وقد بلغ أول هزيمته السوداء على مسيرة مرحلتين من شهارة المحروسة والحرب تابعة إثره، وعليه دائرة، وقد قتل الله من رجاله ما فرشت به البقاع، وأنتن من جيفة قتلاهم القرى والضياح، وإستغنى الناس بالبنادق والذهب والفضة والبغال، وما تحمله من المونة والفراش والأثقال، وهبت ريح النصر للأنصار، وضربت العجم أينما توجهت في كل دار، حتى ما أنسوا بغير الفرار، ولم يستقر لهم في معقل مخيم ولا قرار، ومنهم طائفة في غربان^(٢) يصحبون علي رضا القرشي^(٣) قد تناولهم الحصار وخانتهم الأوطار وأخرى في الجراف^(٤)، انقضت عليهم طيور الأختطاف، وسوّلت نفوس أربعمائة

(١) من أشهر ولاية العثمانيين في اليمن في العصر الأخير وصل إلى اليمن سنة ١٢٩٠ برتبة يوزباشي ثم تعين سنة ١٣٠٢ والياً على اليمن ثم عزل سنة ١٣٠٤ وتعين مرة أخرى سنة ١٣٠٩ ونكر ذلك عدة مرات.

(٢) غربان بلدة في حاشد.

(٣) أحد قواد فيضي كان قتله في السنة المذكورة سنة ١٣٢٣ (انظر أئمة اليمن ق ٢ ص ٣٢).

(٤) قرية ملاصقة لصنعاء من جهة الشمال (المقحفي ص ٨٥).

منهم بالتقدم على السودة بعد وقعة أولى هنالك، فتقدموا فخدمت هنالك نارهم، فتقسمهم أهل البلاد، كأنما سيقوا إلى النفاذ والحصار، ولم ينج منهم، ولا مما أجلبوا به حي ولا جماد، حتى لقد امتلأت البلاد أسرى، ودخل الرعب قلوب العجم، وإليها سرى وفي الآن وأجناد الله محيطة بغیضي باشا، ومن معه في السودة، وبلادها احاطة النطاق، وقد دار عليه وعلى من معه أكثر من عشرة آلاف في العشایا والأشراق، وكأنما نشط الناس، من عقال الرعب والإذلال إلى مرتع العز والجلال، فلنحمد الله الذي اذهب الحزن، وقمع بسيف سطوته رؤوس أهل الفتن، الذين أبطنوا للعرب، ما عنهم قد رده الرحمن، وصرفهم عن الوصول إليه أكف الضراب والطعان، «حتى إذا استیأس الرسل، وظنوا أنهم قد كذبوا، جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين^(١)» انتهى^(٢).

وأذيع منشور آخر يشير إلى ما أنتهت به معركة شهارة، وإلى عظم الفوز الذي حقق الله به آمال المجاهدين، وكبت به الظالمين، وهذا نصه:

بعد التسمية صدورها مبشرة إلى البلاد بما من به رب العباد، وفتح على ذوي الجهاد أن فیضي باشا لما تقمص الكبر وترداه، نكسه الله على رأسه وأرداه، توجه يريد شهارة المحروسة، حتى إذا نصب إليها مدافعه، ورمى ورمى، انزل الله نصره، وثبت الأقدام، فهزم جيشه، ورجع عن الإقدام، نهار السبت الخامس من شوال، وقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة، قتل، واستولى المجاهدون على البنادق، والآنية والمونة، ومدفقا كاملاً، وبعضاً من آلة آخر، ثم أهبطهم الأنصار، من قرى ومراتب بقتل وأسرى، إلى التلوث^(٣) على نحو ثلاثة فراسخ، وكان لهم رابطة في البطنة^(٤).

(١) الآية ١١٠ سورة يوسف.

(٢) ورد هذا المنشور بصفة أخرى في ائمة اليمن ق ٢ ص ٣٣.

(٣) يعني سوق التلوث السابق ذكره.

(٤) البطنة: عزله من ناحية القفلة من بلاد خمر (المقهي ص ٥٣).

أحاطت بهم المقاومة والأنصار، وهم نحو مائتي أعجمي، فمنهم من قتل، ومنهم من أسر، مع غنائم وفوائد، ورابطة أخرى، في جبل سيران^(١) وكذلك، حتى اذا تكامل فهزمهم أته المقادنة والأجناد بالهجوم، ففر فيضي ومن معه، وافلتوا مدفعهم الماوزر^(٢) وكثيراً من خيامهم، والمحافظين عليهم فقتلوا وأستولى المجاهدون على المحطة وما فيها، وبلغت أوائل هزيمتهم نجد حبور^(٣)، ثم شدت الأنصار على من في القرى التي بين النجد والثلوث، فأخرجوهم منها وأخذوا مدفعاً ثالثاً، وغنموا ما لا يحصى، وقتلوا العدد الكثير، وأحاطوا بحبور وما داناه واجتمع لحرب العجم من العرب (الشرفان) و (حجور) و (بنو جديلة) و (بنو عرجلة) و (العذري) و (العصيمي) و (الصريمي) و (مهدي) و (حسيني) و (سفياني) و (أهنومي) و (سحاري) و (عمار) و (خولاني) غير من كان بشهارة، وفيها الذين نصرروا الدين، وذبوا عن اعراض المسلمين، مع ما مر من أخذ حملتهم من الدومة^(٤) التي اصلها تسعماية جمل، والإستيلاء على المحافظين عليها وهم نحو ثلاثمائة قتلاً وأسراً إلى ما قتل الله في السّود قصدها (الصّعر)^(٥) بعرب وعجم فاستقبله احد مقادمتنا في أربعين رجلاً فهزم الله العدو، فقتلوا فيه وسلبوا وأسروا وربما بلغ إليكم صنع (بني جبر) أنصارنا وقتلهم الفرقة الطالعة من (نهم)^(٦) (في نقييل الملح)، حتى أخذوا ما معهم واستولوا عليهم فهذا الذي نبشر به أهل الشريعة ونأمرهم بالتحالف على الأتراك، من مكان إلى مكان ومن بلاد الى بلاد انتهى.

(١) سيران: من بلاد الأهنوم وهو الآن عزله من ناحية وقضاء شهارة.

(٢) نوع من المدافع واللفظة اجنبية.

(٣) حبور مدينة مشهورة من ناحية ظليمة (الحجري ص: ٢٢٧).

(٤) سوق الدومة من ناحية شهارة.

(٥) الصّعر هو احد قواد الاتراك.

(٦) نهم: من قبائل بكيل وبلادهم في الشرق الشمالي من صنعاء على مسافة مسيرة يوم للراجل (الحجري ٧٤٦).

تلخيص حوادث ختام سنة ١٣٢٣ هـ

أفاق الناس من سكرتهم واثاب الرشيد إلى عقولهم بما أثّرتة معركة شهارة، وتركته مثلاً لا ينسى، وعبرة لا تخفى، وشد ما كانت الخيبة والفشل في المقامات^(١) العثمانية، فإنها كانت كل يوم تنشر للناس في صنعاء وغيرها أنباء تختلقها، وتحكم نسجها وتهول ما شاءت على الناس، منذ توجهت القوات الكبيرة تحت قيادة الوالي فيضي باشا، وكان الناس ينصتون إلى تلك الأنباء واجمين، ولا سيما ولم يكن هناك من الفريق الآخر ما يكذبها، ويفنّدها بل استمرت الدعاية العثمانية، تخترق أجواز القضاء، وتدعي أنها فرغت من مهمتها، وانتهت من واجبها، فإذا بالحوادث تتغير فجأة، وإذا بالأمال تنزوي وتنقبض، وإذا بالشعب يجهر في غير خوف ولا فشل، إن القيادة العثمانية هزمت، وتكبدت خسائر فادحة، وفقدت أكثر رجالها، وإذا بالقائد الأعلى فيضي باشا ينهزم مهزولاً، لا يلوي على شيء، فيسمع الناس عنه أنه أمعن في الفرار، والتراجع، حتى انتهى إلى (خمر)^(٢)، ثم لم يلبث أن تحول إلى (عمران)^(٣)، وفيها اعتزم الراحة والسكون ريثما تتجمع الفلول، ويستعيد شيئاً من الراحة والهدوء، بعد ما قاساه من أهوال، وعاناه من متاعب، وما تلطّخ به من عار، وآب به من خزي، بعد أن خسر قوته، وأضاع مهابته.

وقد كان من آثار هذه الهزيمة، تمرد كثير من الجهات الخاضعة للسلطة العثمانية، عن تسليم الضرائب الحكومية، وعن الإنقياد والاستسلام لما تفرضه تلك السلطة، وكثر المتطوعون في الجهاد، ونشطت العصابات للحروب المحلية، وأحرق الخوف بالسلطات العثمانية، في القسم الأعلى

(١) جمع قائم مقام من رتبهم العسكرية.

(٢) من المدن المشهورة من حاشد.

(٣) عمران: مدينة مشهورة من همدان شمالي صنعاء.

من اليمن جميعه، واخذت القيادة العثمانية، تجّدد في ضم القوات المتبعثرة، وجمع شتيتها، ونقلت قوات من الجهات الجنوبية والغربية، إلى صنعاء والى عمران لفداحة الخسارة التي أصابتهم، منذ ابتدأت معركة شهارة، إلى أن استقر فيضي في عمران، وكانت القوات العثمانية لا تتراجع إلّا بين هول المعارك، وصليل السيوف في القرى والسهول والأودية والجبال، حتى تناثرت الأشلاء والجثث على طول الطريق، وتعذر المرور، لشدة التن.

وقد كان في مبادي زحف القوات العثمانية على شهارة، تفكير بعض الزعماء، في شأن القاسمي الداعي^(١) في بلاد الشام، ورأوا أن من الحزم، إعادة التفاهم معه وحسم الخلاف، لتتفرغ الجهود لدفاع الأعداء المغيرين على البلاد، وأملًا في توحيد الصفوف، وتسوية العلاقات، فكتبوا إلى القاسمي إنا رأينا تحكيم أربعة من خيرة العلماء أولي الحزم، وما قرروه وأجمعوا عليه يكون إتباعه، والإنقياد له، فأعلن القاسمي موافقته، ثم عرض هذه الإقتراح على الإمام، فقال: ذلك ما كنا نبغي، وسارع إلى الوفاق، ولما علم القاسمي أن رجال التحكيم قد استعدوا للنظر في الخلاف، سارع فأعلن انه لن يرضى بحكم احد، وإن زعامة لا يمكن ان تقبل التحكيم، ررأى قبائل خولان^(٢) وجماعة^(٣) وسحار^(٤)، وغيرها سامعة له مطيعة، فانخدع بما سؤلته نفسه، وأصرّ على الشقاق ومجازبة الحبل فكان هذا أعظم عامل للإمام في التفكير الجدي للقضاء عليه، وبعد انتهاء معركة شهارة أخذ الإمام في وضع الخطط، وإعداد العدد، لمنازلة القاسمي وإرجاع بلاد الشام الى

(١) هو الداعي حسن بن يحيى القاسمي ولد بهجرة ضحان سنة ١٢٨٠ ومرت له خطوب مع الامام يحيى وردت في كتابنا هذا وغيره توفي سنة ١٣٤٣ (نزهة النظر ص: ٢٤١).

(٢) خولان: من صعدة ومنها يتفرع القبائل الآتية وهم خولان بن عامر بن الحاف.

(٣) من خولان. (٤) من خولان.

حظيرة الطاعة، وموقف الجماعة، وهذه خطوة وطنية كبرى لأن بقاء هذه الأقطار في العناد والخلاف يدعو الى القلق، لأنها واقعة خلف مراكز حركات الدفاع اللّاتي يديرها جلالة الإمام ضد الأتراك العثمانيين.

وما أطل شهر ذي الحجة الحرام إلّا وطلّات القوات الإمامية قد وصلت (ساقين)^(١) وهي من أهم المراكز في بلاد الشام، وأخذت تناوش القبائل الشامية مناوشة حامية، وفي (الكرب)^(٢) كانت معركة اشتبك فيها الفريقان عدة أيام، واستطاع القاسمي لقربه ان يجمع جيوشاً جرّارة من الموالين له، ولكن القوات الأمامية استطاعت مواصلة الثبات والكفاح بجهود عظمى، ووافاهم المدد من (حجور)^(٣) وبكيل)^(٤) تحت رئاسة الشرقي^(٥)، فكان هذا الثبات سبباً لانقياد كثير من القبائل، ورجوعهم الى رأي الجماعة، وفي أثناء هذه المناوشات العنيفة، إنقادت (الكرب) وكثير من سحار، وشعر القاسمي بخرج موقفه، ولكنه مصر على عناده، على رغم التنازل الذي تنازل له الإمام، فقد ضمن له بقاء زعامته، وتوفير مادته، وتدعيم نفوذه في الجهات الموالية له، إن هو فاء إلى الوفاق، وانخرط في سلك الجماعة، وكل هذه الجهود ذهبت هباءً وشاء الله ان تكون الكلمة الفاصلة هي كلمة القوة، وصوت القوة هو المسموع، منذ عرف التاريخ وفي كل زمن ومكان.

وقد كان من دواعي البشر والابتهاج أن الإمام زار شهارة، ذاك المعقل الذي يستحق كل إعجاب وتقدير، فوافى إليه في شهر ذي القعدة، وطاف

(١) ساقين مدينة من حولان بن عمرو وبلاد صعدة.

(٢) مدينة وقبيلة تابعة لساقين.

(٣) بلد من سراة قدم حجة (المقحفي ص ١١٠).

(٤) قبيلة مشهورة من همدان «تسع منطقتها الى عدة نواح».

(٥) هو العلامة محمد بن سعد الشرقي ولد في محرم سنة ١٢٨٢ وتولى عدة مناصب وكان ورعاً زاهداً اوصى بكل ما خلفه لبيت المال توفي سنة ١٣٥٢.

ربوعه وجوانبه، وألقى عليه نظرات فاحصة، وأصلح، ما دمرته معارك الحرب الطاحنة، وقوى حامياته، واجتمع في شهارة من الأعيان والعلماء والزعماء جم غفير، وتلاقت فيها القلوب مبتهجة بما أولاها الله من نصر، وما منحها من تأييد، ولما رجع الإمام إلى (القفلة) مستقرة توافدت عليه الوفود، وأمتته الجموع، وانتالت عليه الجماعات، من كل صوب، وقد رأى بعض الزعماء مواصلة الهجوم والطراد، ومضايقة القوات العثمانية، ولكن الإمام رأى أن من الحزم التريث والتأني، ومواصلة الجهود للقضاء على حركات أهل الشام^(١).

على انه قد حدثت حوادث في خلال هذه الشهور الثلاثة، منها معارك دامية حدثت في (آنس) في القسم الجنوبي الغربي من البلاد، فقد اشتبكت في هذه الجهات طوائف من القوات العثمانية، مع جماعات من المجاهدين، تحت رئاسة الشيخ علي المقداد^(٢) والسيد اسماعيل المروني^(٣)، وكلاهما من رجال الوطنية الصادقة والولاء العظيم.

وانتهت هذه المعارك بفوز المجاهدين فوزاً بيناً، في (بيت الذيباني) و (بيت عيسى) ومخلاف ابن حاتم، ووصل المجاهدون إلى وادي الجار^(٤) بالقرب من صنعاء بعد أن أنزلوا بالقوات العثمانية ضربات قاصمة، ونقلت رؤوس القتلى إلى وعلان^(٥)، وعادت القوات العثمانية متراجعة إلى ذمار، وقسم منها إلى صنعاء.

(١) يعني أهل صعدة الجهة الشمالية.

(٢) هو الشيخ علي بن المقدادي راحع الأنسي توفي سنة ١٣٣٩.

(٣) هو العلامة والمؤرخ اسماعيل بن اسماعيل بن يحيى المروني ولد بهجرة المرون سنة ١٢٩٣ وكان من الفرسان الشجعان انيطت به عدة اعمال وتوفي سنة ١٣٦٦.

(٤) من ناحية بلاد الروس إحدى نواحي صنعاء (المقحفي ص ٧٧).

(٥) بلدة جنوبي صنعاء لمسافة ٣٢ كم وهي من بلاد الروس (المقحفي ص ٤٦٦).

وانطوت صحيفة هذا العام عام ١٣٢٣ هـ، بعد أن سالت فيه الدماء
انهاراً، وحدثت فيه أروع الأحداث وأنكاهها، وتقلبت الأيام فيه تباعاً،
وحصدت الحروب والمجاعات، والوباء عدداً لا يحصى، ولم يستقر في
نهايته حال، ويلى هذا حوادث سنة ١٣٢٤ هـ.

(سنة ١٣٢٤ هـ وحوادثها)

رأيت في العام الذي فرغنا من تلخيص حوادثه الجسام، وخطوبه
العظام، أنه ارتحل وقَوَّض خيامه بين الأسى والحسرة، وبين الدماء والدموع
وبين الدمار والخراب، وحالة البلاد تدعو إلى الحزن العميق من جميع
جهاتها، فالقوات العثمانية، ما تزال رابضة قابضة على القسم الجنوبي من
الشَّعب، وعلى القسم الغربي جميعه، وهذان القسمان هما موطن الثروة
ومنابع الثمرات الغزيرة، والخصب النامي.

وكل يوم وللقوات العثمانية هدف، يرمونه، وقصد يتجهون إليه، ولهم
من أبناء البلاد أشياع وأتباع وخونة وأنصار.

والقاسمي وقبائل الشام، قد ركبوا قرونها، ولذَّ لهم خذلان وطنهم،
والحاجة في البلاد ملحة، والمجاعات قد فتكت فأمعنت، وليس في البلاد
غير بصيص نور يشع من مقر الإمام ورجاله المخلصين، في بقعة في
الجهة الشمالية بعيدة عن أكثر القبائل، قليلة الخصب والمواصلة، محفوفة
بالمصاعب، ولكن هذا النور الذي ينبثق بقوة، فتنظر إليه العيون، وتتطاول
إليه الأعناق، هو نور الحق والوطنية، والإسلام والعروبة، فلا غرو إذا
استطال وانتشر، وقاوم ظلمات الباطل والعدوان والضلال، والعناصر
الغريبة.

طلع هلال العام الجديد وهذه الطائفة التي أخذت على عاتقها إنقاذ
الوطن، ورفع راية العدل ونصرة الحق، مواصلة لأعمالها مستمرة في

جهادها، دائبة في مساعيها بقلوب يغمرها الإيمان والعقيدة الراسخة إنه لا بد من ظهور الحق وإن كره المبطلون، وقد كان فاتحة أعمال هذا العام إرسال الشيخ علي بن عبد الله المقداد مع ثلاثة من رؤوساء (بني جبرة)^(١) من خولان الجنوبية لينظم حرب العصابات في أطراف الحدا^(٢) وجهران^(٣) وآنس^(٤) والأعروش^(٥) من خولان وفي أطراف عنس والمغرب.

وبعد مغادرته للمقام الإمامي، ترامت الأنباء أن جماعة من المجاهدين تحت رئاسة الشيخ عبد الله بن محسن راجح في عنس اشتبكت مع قوة كبيرة عثمانية، واستمرت المعركة ثمانية أيام، انهزم في نهايتها المجاهدون لقلتهم، وبعدهم عن المدد، وتفوق العدو عليهم، ولما تطايرت الأخبار بأن المقداد ينظم الصفوف، لحرب شعواء سارعت القيادة العثمانية بإرسال الجنود إلى (معبر)^(٦) وأقاموا المخافر على طول الطريق بين صنعاء وذمار، وتمكنوا من إعداد قوة كبيرة، ولما تبين لهم أن المقداد في (زراجة)^(٧) بلد الحدا ومعه من المجاهدين عصابة، وكان كثير من البدو، قد تخلّفوا عنه وتفرقوا عن مركزه، كان من القيادة العثمانية احكام خطة الهجوم على (زراجة)، وفيها اشتبك الفريقان في معركة تاريخية مهيلة، فقد داهمت القوات العثمانية رجال الإمام ولكنهم لم يجدوا إلا بسالة واستماتة، حتى

(١) عزلة من ناحية مغرب عنس واعمال ذمار (المقحفي ص ٧٩) والمعنية هنا من قبائل خولان العالية تمتد مساكنها من اسفل نقييل شجاع الى بلاد خولان في جهة الجنوب والى اسفل اشراف مارب بالشرق (المقحفي ص ٧٩).

(٢) قبيلة مشهورة في الشمال الشرقي من ذمار بمسافة ٣١ ك. م (السابق ص ١١١).

(٣) ويعرف بحقل جهران ارض واسعة من اعمال ذمار (السابق ١٢٥).

(٤) قضاء واسع من اعمال ذمار.

(٥) قبيلة من خولان الطيال.

(٦) مدينة بالجنوب من صنعاء مسافة ٦٨ ك. م تقع في وسط قاع جهران.

(٧) مركز ناحية الحدا على مسافة يومين جنوباً الى الشرق من صنعاء.

تهدمت البيوت، وخرج المجاهدون من تحت الانقاض المتهدمة بعد صبر وثبات لا يتحلى به، إلا المخلصون.

وفي اثناء الليل انسحب المجاهدون من (زراجة) وقد صارت أطلالاً بعد خسارة تحمّلوها، ولكن الأعداء سلموا الثمن غالياً، فقد أصيب منهم عدد كبير بالقتل، وأسرع المجاهدون إلى بلاد الروس ثم إلى اليمانية العليا.

وكانت هذه المعركة في شهر صفر من هذا العام.

وفي هذا الشهر انتقل الإمام إلى (المدان) لتأديب الذين تمالؤا على حاكم الشريعة هناك واستخفوا به.

وفي ربيع الأول عاد الإمام إلى (القفلة).

وفيه أن قوة عثمانية وصلت إلى جبل (نيسا)^(١) وقوة اتجهت إلى الأشمور^(٢).

وفيه اشتبكت قوة عثمانية مسلحة مع رجال المقداد في خولان واشتد العراك فيها وخسرت القوات العثمانية رجالاً وسلاحاً في هذه المعركة، وكان من أبطال المجاهدين فيها السيد عباس بن علي بن إسحاق^(٣) والسيد إسماعيل المروني.

وفيه أتى إلى الإمام السيد احمد بن إبراهيم الهاشمي^(٤)، من أعيان

(١) نيسا: عزلة من ناحية المغرب من اعمال حجة (المقحفي ص ٤٤٢).

(٢) الأشمور: جبل مشهور بالغرب من مدينة عمران بمسافة ٢٢ ك. م (السابق ص ٢٥).

(٣) هو العلامة عباس بن علي بن احمد اسحق ولد بالجراف سنة ١٣٠٢ واخذ عن جماعة من علماء عصره وتولى اعمال جهات خولان والطيبال وشارك في حرب الاتراك توفي سنة ١٣٦٥.

(٤) هو العلامة احمد بن الاصبح بن احمد الهاشمي ولد برحيان من صعدة سنة ١٢٦٠ ونشأ بصعدة وكان من اعيان عصره توفي سنة ١٣٤٢.

صورة وعلمائها، في وفد يحملون إلى الإمام نبأ عقد هدنة عقدوها مع القاسمي إلى شهر رمضان، وعادت الجيوش، وقوادها إلى مقر الإمام.

وفي جمادي الأولى أغارت قوات عثمانية كبيرة على البون والصَّيد وغيرهما من بلاد حاشد الواقعة بقرب عمران، وعاثوا وسلبوا أموالاً طائلة.

والقوة المرابطة في نيسا أغارت على ما بجوارها وارتكبت أعمال النهب والتخريب.

وفي آخر هذا الشهر، وصل وفد من الحجاز تحت رئاسة الشريف حمزة بن عبد الله، ومعه الشيخ العالم عبد الرحمن الياس المدرس بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام، ومع هذا الوفد رسالة، من الشريف علي بن عبد الله الحسيني^(١)، وروح الرسالة الحث على موالة الدولة العثمانية، والإسراع إلى عقد صلح معها، وأفاض كاتب الرسالة في قصده هذا، إفاضة طويلة، وبعد أن استراح الوفد، واستعاد نشاطه، تسلّم رسالة الردّ على ما جاء به، بعد أن لقي من الحفاوة والإكرام ما ليس بعده غاية، وقد كان الردّ منطوياً على ما أشرنا إليه سابقاً، وصرحت به كتب الإمام إلى السلطان العثماني وغيره، من أن فساد ولاية الدولة العثمانية في اليمن وإرهاقهم للرعية، واستخفافهم بسلطان الدين، ولوعهم بالجور، ومجاهرتهم بالمنكرات، هو الباعث على مناصبتهم، وتقليم أظفارهم، وإنه ليس من الرأي ولا من العقل، ترك الأمة مذبوحةً، تحت أقدام الغريب الواغل، وأن الدين يأمر بالنهي عن المنكر، والأمر الذي لإنزاع فيه أن أولئك الولاة هم سبب هذه الفتن، يشيرونها ويدبرون أمرها، فالتبّعة عليهم، واللوم على من يؤيدهم إلى ما شرحناه سابقاً.

(١) هو الشريف علي باشا بن عبد الله بن محمد بن عبد المعين من اشراف مكة وليها سنة ١٣٢٣ وعزل سنة ١٣٢٦ فانتقل الى مصر وتوفي بها سنة ١٣٦٠ (الاعلام ج ٤ ص ٣٠٩).

وفي أوائل هذا العام نشر من المقام الإمامي منشور الى جميع جهات الشعب وهذا نصّه:

بعد التسمية، ان من انتصح وعرف نفسه وألزمها الكف عن أضرار المسلمين وعن تقريب ما بعد عن الظالمين، وأن لا يترك نصيحة الله، ولا يكتم عنا شيئاً مما أسر إليه العجم به أو أذاعوه، وعلمه وما علمناه، مما يترقبونه أو يعزمون عليه، ولن لا يعترض قباضنا، ولا يدلّ عليهم ولا يسعى لهم بإخافة سراً ولا جهراً ولا يعاقب من أوصل واجباته إلى الإمام، ولا يتناوله بمكروه، ولا يجمّل دين الله إلّا في سبيل ما به أمر الله، وتكون مصاحبته للعجم عليهم لا لهم، وبباطنه معنا وظاهره معهم، فلأجل التمسك بهذه الخلال، من غير حدث، فليكن واثقاً منا بأننا لا نواجهه بشيء يكرهه فليعلم هذا انتهى.

وفي هذه الآونة، وصل خطاب من محسن بن عبد الله بن الحسين الرّصاص اليماني من مصر إلى الإمام يقول فيه: أنه خرج من وادي اليمانية^(١) سنة ١٢٩١ هـ قاصداً الأستانة، فكتب الله له الإقامة بمصر، وأنه وقف نفسه وقلمه ومجبرته لخدمة بلاده، واستأذن من الإمام دوام المراسلات بواسطة دولة إيطاليا التي وصفها بقوله إنها أقرب دولة متحبة إلى الإسلام والمسلمين، وبقوله الغيرة على الإنسانية التي نصبت للتأليف بين العالم الإنساني رجالاً صادقين، كما تشهد لهم رسائلهم، وعدّد هذا الكاتب طرفاً من متن هذه الدولة التي رآها في نظره خدمة للإسلام والإنسانية، إلى أن قال باللفظ:

(وقد خاطبت قنصلها بالحديدة أن يعتني بكل خدمة تختص بنا وبكم من مراسلات وخلافها ولا يخفى دولة الإمام أن كل دولة تقع مع أخرى في

(١) اليمانية: عزلتان من خولان الطيال بالجنوب الشرقي من صنعاء (المقحفي ص ٤٧٧).

إشكال وحروب، فأمرهن سياسةً التي تتحَبَّب إلى صديقة لها لتشوش أفكار عدوتها، وبهذه الوسيلة تظهر عليها، فماذا علينا يا مولاي لو خاطبنا ملك إيطاليا بواسطة سفيره في مصر في قبول الحماية لبلاد حاشد وما جاورها، حيث انها لم تكن تحت سلطة الدولة العثمانية على شروط مختومة بختم المملكة، يكون مبناها الإكتفاء بقبول دخول تجارتها بلاد اليمن، والبحث عن المعادن، وتحليلها بواسطة وفد كيماوي، من علمائها، على مصاريفها، وللحكومة اليمنية جزء بعد حساب المصارف.

إلى أن قال: ولا يخفى مولاي حسن مجاورة ومعاملة دولة إيطاليا مع أهالي مصوِّع^(١) والصومال وتقرير زعمائهم واحترامهم الشريعة، ومرحمتهم وعطفهم، فنحن على ثقة تامة ان هذه الدولة تكون نصيرة لدولتكم، دون مطامع في البلاد، لأن الذي قَوَّى عزمنا على هذا رجل من خلاصة المسلمين يدعى محمد علي بيك علوي المترجم الأوَّل في السَّفارة بمصر، وهذا الرجل من الغيورين على الإسلام والمسلمين).

هذا لفظ هذا الخطاب والتمس كاتبه في آخره إبلاغ سلامه إلى السيد يحيى واحمد الكبسي وأنجاله.

وهذا الكتاب السياسي المملوء سماً ومكراً وخداعاً، قوبل برد من الإمام مطول، فيه بيان ما تأتته السلطة العثمانية من جور ونكر وظلم وإرهاق، وأن هذا هو السَّبب في استمرار المعارك والخطوب، وإن سلطان الإسلام لا يعلم ما يجري من ولاته في اليمن، وأن مما ترغب إليه النفوس عقد صلح يبرم مع الدولة العثمانية إلى أن أتى في الجواب الإمامي ما لفظه (وإنه إذا سكنت الحروب، ووقفت الخطوب، أمكن تأمين الطرقات وفتح أبواب التَّجارات وإستنار أهل القطر بنور المعارف، فانتفعوا وانتفع منهم

(١) مصوِّع: مدينة بارتريا وميناء على البحر الأحمر (الموسوعة العربية الميسرة ص ١٧١٠).

أهل المهارة والدرايات في جميع الممالك، وسند بهذا باب كبير من الخسارات والمهالك، هذا ما جاء في الرد الإمامي وأنت ترى ما فعلت لك باللفظ مما يدل على بعد نظر وكياسة دقيقة وحكمة رصينة وكيف قوبلت تلك المقترحات الأشجّة الواردة في كتاب الرصاص بالإلغاء والإعراض والطرء، وكيف دعاه إلى أن الأولى التفاهم مع الدولة العثمانية المسلمة، لتضع حدّاً للفتن والقلال، وأن لا حاجة إلى شيء أكثر من هذا.

وبهذا المعنى كان الجواب على محمد علي بيك مترجم دار السفارة الإيطالية بمصر، وفي هذا بلاغ لقوم يعقلون.

ولم يحدث في هذا العام حادث يستحق أن يسطر، غير ما ذكرنا، سوى المحاولة التي بذلها بعض الزعماء لوضع أساس لصلح يعقد بين الإمام والسلطة العثمانية، فقد خرج معاون الوالي العثماني بصنعاء (محمود نديم) وبرفقته السيدان الكبيران قاسم بن حسن العربي^(١) وعبد الله بن علي عبد القادر^(٢) واتجهوا إلى (ريدة) من البون حيث قابلهم من طرف الإمام ثلاثة من الضخام الأعلام، سيف الإسلام محمد بن الهادي، وعبد الله بن إبراهيم^(٣) وأحمد بن يحيى عامر^(٤) من عليّة السّادات النبلاء، ولم تتوفّق الجهود لتمام المقصود، وكان هذا في شعبان من هذا العام.

وإذ قد لخصنا لك أيّها القارئ الحوادث الحربية، وأشرنا إلى مجمل الحالة السياسية، في هذه الظروف، والآن نتحفك بتحفة فنية طريفة، قطعة من الشعر الرّصين الجزل من إنشاء القاضي الأديب حسين بن أحمد

(١) من العلماء الأفاضل ولد سنة ١٢٩١ وتولى مناصب كثيرة وتوفي سنة ١٣٨٠.

(٢) ولد بصنعاء سنة ١٢٨٢ واحد من علماء عصره وتولى مناصب الدولة العثمانية وكانت وفاته سنة ١٣٥١.

(٣) ولد بصنعاء سنة ١٢٧٨ وكان اديباً مهماً جمع بين الرئاسة والدراسة توفي سنة ١٣٤٩.

(٤) ولد بجبل الأهنوم سنة ١٢٨٢ وأخذ عن علماء عصره وكان مكثراً من الطاعة وتولى عدة مناصب توفي سنة ١٣٢١.

العرشي^(١) قدمها لجلالة الإمام عند زيارته لشهارة وهي آية في الإبداع ودرّة من درر البيان قال رحمه الله: ^(٢)

عن البدو إذا ما أنت تروي وتنسب
وحيت أي الربع جاورت مرّة^(٣)
وهل أبصرت عيناك إذ أنت عندهم
بصرواح^(٤) أوبيحان^(٥) أونهج مادب
منازل فيها للضيوف منازل
بها عادة الغيد التي الروح عندها
هداني إليها العشق قبلاً ودلني
فطفت حواليه وحولي وحولها
أغير شعري حين أدنو مسلماً
أغالطهم بالشيب كي لا يلومها
مهارة أطاع العشق نفسي ونفسها
أخاطبها باللحن وهو خطابتي
على أنني لو بحث بالأمر لم أجد
وشخص من البلوى يشفي صباة

أعده فما أحلاه لفظاً^(٦) وأعذب
مشرقه ام ذو القباب المغرب
مهاها اللواتي دونها الوصل يحجب
مهابط ماشاد الكلاع^(٧) ويحصب^(٨)
تعدّ وفيها مرحب وتأهب
يباع ويسبي كل حين ونهب
عليها غرامي والخباء المطنب
رجال لها في موكب الحزم تركب^(٩)
عليهم وادعو بالبياض فأخضب
على القرب مني ذو إحاء ولا أب
كلانا له فيه مقام ومنصب
إليها فتدري ما به اللحن يعرب
بعاداً ولكن صاحب الحب يرعب
فؤاد الذي ما كان من قبل يشرب

(١) اوردها ايضاً المؤرخ زبارة في ائمة اليمن ق ٢ ص ١٠١ .

(٢) زبارة: عندي .

(٣) زبارة: جاوز به نضحى .

(٤) صرواح: مدينة تاريخية قديمة معروفة .

(٥) بلدة من الجهة الجنوبية من البيضاء وفي جهة الشرق من حضرموت .

(٦) بلدة مشهورة شرقي صنعاء على مسافة اربع مراحل للمجد وبها سد مأرب
(الحجري ٦٢) .

(٧) الاسم القديم لما سمي اليوم بالعديني ويدخل في الكلاع ناحية حيش وذو السفال
والسحول وغيره (المقحفي ص ٣٤٩) .

(٨) من سمارة الى الكلاع (نفسه ٤٧٠) .

(٩) زبارة: مركب .

وغصن إذا قسايسه في اعتداله
هي الصبح وجه الصبح معنى لوجهها
تعلقها مذ كنت جفراً^(١) ويافعاً^(٢)
وبرأتها من لوم من كان عاذلاً
أراك ترى أني تسورت حائطاً
وتحسبني شبتت في ذات برقع
ونفسي التي لا تقبل اللوم عرضها
كنت بذا عن شيمة العرب انها
وعن منصب الحق الذي كنت رده
وبالعشق حببها على كل حالة
إلى عامر الدين الذي بات باقياً
إلى الناشر الإيمان في كل بلدة
إلى ذي يد كفت بكف اعتصامها
رماهم بها جرداً عتاقاً كأنها
وأرسلها شعثاً غضاباً مشيحة
وأرخت لها بعض العنان فأصبحت
أحاطت على صنعا أزال ولم تزل
فألقت أزال الخير ما جن جوفها
وغطاً على الأروام ثوب أمان
ولما عتي العاتي وكان الذي مضى
له ناب ليث فهو يدريه قاطعاً

على قدر غصن البان فالبان أحذب
ولكن شعر الفرع ليل وغيب
فمن اين لي من بعد ما شخت مهرب
يتم عليها بالجفاء ويكذب
عليها وأني في الذي قلت مذب
أبى الله لي هذا وعقل مجرب
أعف وأولى بالعفاف وأنجب
هي الغيد والوجه الجميل المحبب
ومن دونه بيد هناك وسبب^(٣)
وحبي لمن يدنو إليها ويقرب
له والذي لولاه قد كاد يخرب
ومظهره والناس تلهو وتلعب
مظالم فيها امة العجم ترسب
كواسر عقبان تجيء وتذهب
تصيد الذي مرت عليه وتسلب
توام الوغا ما عاقها عنه موكب
تدك الصياصي^(٤) والجبال وتركب
من العجم وانحط الضلال المركب
فكان لهم فيه هناك تقلب
مضى وهو كالليث الهزبري مغضب
مني كل غي حين يلوي ومخلب

(١) الجفر ولد الشاة ابن صغير كولد الشاة.

(٢) يافع : غلام يافع ترعرع وناهم البلوغ.

(٣) السبب : المغارة.

(٤) الصياصي : القلاع.

وأمت بغاة العجم حصن شهارة
فما رجعوا إلا على متن شرّ
شهارة ذات الفخر والمجد والتي
سماء بناها الله من صخرة رست
إذا أوقدت فيها المصابيح ليلةً
وسقف يحاك النجم يحوي معارجاً
كأن سناميها الأميري وفائشاً^(١)
يطوقها حزم وعزم وشاهق
لأحجارها ما للسيوف مبيدة
عمرت بها الأبراج وهي حصينة
تروساً^(٢) ترد (الطوب)^(٣) عما يريده
واسقيتها ماء الحياة فلم تكن
خلعت عليها حلة المجد فاغتدت
وطيئتها بالعز وهي جديرة
وما أنت إلا الألمعي وانسي
فأني لقد انفقت مما ملكته
فغطّ على عيبي بستر فانما
ولي أدب فالبعض ابديته تارةً
عليك سلام الله ما لاح بارق

ومن دونه حفظ من الله يغلب
لهم فيه باب خلفه الغر مشعب
لها المثل الأبهى الذي كان^(٤) يضرب
على منبت بالعز والفخر مشرب
ففي كل برج حين أبصرت كوكب
على كل معراج حروس ونُوب
سنا ما بعيرين لذا ذاك يعقب
وآساد حرب والحديد المذرب
تقدّ وتفري وهي ترمى وتقلب
وزدت بها نقباً من الصخر يثقب
فما برقه إلا كما قيل خلّب
لذي ريبة منها سوى الموت مشرب
تتيه بها فوق الجبال وتعجب
به والمحل المثمر العز طيب
أعيذك بالرحمن تزري وتعب
وذلك فيما يقدر المرء يندب
يغطي على العيب الكريم المودّب
وبعض تسوالٍ فهو سرّ^(٥) مغيب
وما أمطرت من بارق الصيف اسحب

انتهت^(٥) وبلي هذا القول في ماجد من الحوادث العظام.

(١) زبارة: بات.

(٢) إشارة إلى شهارة الأمير نسبة إلى الأمير ذي الشرفين وإلى شهارة الغيش وهي قلعة مساوية لشهارة الأمير.

(٣) جمع ترس وهي الدرة التي تصد السهام.

(٤) الطوب: المدفع باللغة التركية.

(٥) قلبت: هذه القصيدة من الشعر الحماسي الذي يقال لأذكاء همم المجاهدين في مناجزة=.

«أحوال اليمن في خمس سنوات من شوال سنة ١٣٢٤ هـ الى شوال سنة ١٣٢٩ هـ»

الكلام على حوادث هذه الأعوام الخمسة يقع في ثلاثة فصول:

الأول في إنفاذ الأوامر واث السرايا وتجهيز العصابات لمضايقة القوات العثمانية في كل مكان تسمح الظروف بالعمل فيه والمقاومة بين أهله، ويشمل هذا جميع ما حدث من شوال سنة ١٣٢٤ هـ الى ختام سنة ١٣٢٦ هـ بعد إعلان الدستور العثماني، وإرسال الإمام وفداً الى الأستانة.

الثاني: في أحوال سنة ١٣٢٧ هـ وسنة ١٩٢٨ هـ وما طرأ على الحالة من سكون وهدوء زمن ولاية تحسين باشا الثالث في حوادث سنة ١٣٢٩ هـ وغاراتها وحروبها وتنتهي بعقد صلح (دعان) في شوال سنة ١٣٢٩ هـ، وبهذا الصلح وضع الفريقان السلاح وتصافحا للسلام وحل الوائام محل الخصام وبهذه الفصول الثلاثة ينتهي القسم الأول من مؤلفنا هذا كما أشرنا الى ذلك في ديباجة الكتاب^(١).

(الفصل الأول)

كانت حادثة شهارة تجربة ذات شأن، عرف الناس منها أن قوة الدفاع يرتكز على الإيمان الصادق، والعقيدة الثابتة، والشعور بالواجب كما أنها كانت درساً بليغاً عرف الإمام ورجاله أن القوات العثمانية التي تعززها التجريدات المتوالية من أطراف المملكة العثمانية المترامية الجوانب، لا بد وأن تفكر في عمل جدّي، قد يكون من الصعب مواجهته، ولا يؤمن أن يعود فيضي ورجاله إلى إعادة الكرة على شهارة والبلاد التي يستقر فيها

= الأتراك، وإيرادها هنا مما يفيد الدارسين لهذا الجانب من الشعر السياسي.

(١) يلاحظ ان المؤلف لم يكتب هذه الديباجة وان الذي وصلنا هو الكلام على الحوادث بعد انتهاء معركة شهارة فيحقق.

الإمام وأنصاره، وأضيف إلى هذه الإعتبارات ما تجريه الإدارة العثمانية في البلاد التي تسيطر عليها، من أعمال العنف والجبروت، وشدة النكاية بالرعية، والقضاء الويل على من ألصقت به تهمة الموالاة للإمام ورجال الجهاد.

لذلك كان العمل في بث العصابات، وتجهيز الأمراء واستنفار الذين وهبوا لهذه الدعوة أنفسهم وأموالهم، وكان العمل متعدد الصور، شتى الألوان، مختلف الأساليب، وكل ذلك يرجع إلى صورة واحدة، وهي مطاردة العدو، وإخافته، وإنزال الضربات برجاله ومن يواليه، في الطرق، والمدن، والقرى وفي الشعاب، والجبال، وفي البيوت، والأدغال، حرب وطنية، أملتھا الظروف لأنَّ الخصم عنيد، ومزود بأسلحة فتاكة، ووراءه المدد المهيل، وفتكات صارمة، حتى دخل الرعب إلى كل قلب وأصبحت رجال السلطة العثمانية في وجل ورعب، في بيوتهم في العاصمة وغيرها.

وفي شوال كان قتل عبد الله بن علي المكرمي من رجال الباطنية وأحد أنصار السلطة العثمانية

وفي حوالى صنعاء كان سلب بعض ضباط الجيش العثماني أسلحتهم، وامتدت أيدي العصابات (بير العزب) القسم الغربي من العاصمة، وفيه بيوت أعظم الرجال العثمانيين

وفي القعدة كان تجهيز القاضي حسين بن أحمد العرشي إلى خولان وبني جبر، وما يتصل بهما، للعمل في سوق الناس إلى مطاردة الأعداء المغيرين.

وتلاه في أول ذي الحجة السيد الكبير أحمد بن علي عامر، للتعاقد معه في إيقاد نار الحرب في جنوب صنعاء

وفي القعدة بعث الإمام بتجريدة إلى (سارع)^(١) لإعانة أبناء البلاد هناك في طرد القوة العثمانية التي اشتبكت معهم في حرب طالت ثلاثة أسابيع، وتجريدة ثانية إلى أماكن في نواحي (كحلان)^(٢) وعفّار^(٣) وحجة) تحت رئاسة السيد الكبير عبد الله بن يحيى أبو منصر.

وفي هذا الشهر هجمت قوات عثمانية كبيرة في (آنس) وطاردت المقداد ورجاله، وتخلص منهم بعد عراك طويل

وفي شهر ذي الحجة جهز الإمام عصابة ذات شأن إلى (ساقين) من بلاد الشام^(٤) مدداً للسيد الزعيم أحمد بن قاسم حميد الدين^(٥)، ومدفعاً وأسلحة، بعد أن اتسع ميدان العمل في الشام بين قائد جيش الإمام، والثائر الداعي السيد حسن بن يحيى القاسمي، ووصل إلى الإمام طائفة من كبار رجال خولان بن عامر من الشام

وفيه وصلت رهائن خولان وبني جبر إلى المقام الامامي شعار طاعتهم وانقيادهم

وفيه كان تعزيز القوّات التي نفذت إلى خولان وما جاوره في جنوب صنعاء بقوة تحت رئاسة السيد البطل محمد بن يوسف الكبسي.

-
- (١) سارع: بالشمال الغربي من شبام كوكبان بمسافة ٨ ك. م. (المقحفي ص ١٩٧).
(٢) هو كحلان تاج الدين مدينة جبلية بالشرق الشمالي من حجة بمسافة ١٧ ك. م. (المقحفي ص ٣٤٤).
(٣) جبل في بلاد كحلان بالشمال الشرقي من حجة بمسافة ٢٧ ك. م. (السابق ص ٢٩٠).
(٤) يعني الجهة الشمالية صعدة وما يليها.
(٥) هو العلامة أحمد بن قاسم بن عبد الله حميد الدين ولد بقرية القابل سنة ١٢٧٧ وكان قد شارك في حرب الأتراك وتوفي سنة ١٣٥٣.

وفي ختام هذا الشهر قَدَّم عقّال خارق^(١) وسفيان^(٢)، رهائن الطاعة للإمام لينضمُّوا إلى صفوف المجاهدين العاملين

وفي ختامه أيضاً كانت معركة (جحانة)^(٣) مركز خولان، وجلب العثمانيون إليها قوّات كبيرة قَدَرُوا بها على الضَّغط على المجاهدين ولكن المجاهدين قاموا وثبتوا وضربوا العدو في هذا المركز ضربات عنيدة، وفكوا الحصار المضروب على طائفة من المجاهدين.

وفي المحرم مفتح سنة ١٣٢٥ هـ كان تجهيز السيد الكبير عباس بن علي بن إسحاق ومعه الشيخ أحمد بن أحمد مساعد للعمل في جنوب صنعاء.

وتلاه تجهيز السيد حمود بن محمد شرف الدين^(٤) تعزيزاً للمجاهدين في جنوب صنعاء

وفيه كان الالتحام العنيف بين قوّة عثمانية وطائفة من المجاهدين وتطاول العراك والطُّراد من بني بهلول^(٥) إلى بلاد الروس^(٦) وفي قرية الدار البيضاء^(٧) ثبت المجاهدون لكرات العدو، وقاوموا مقاومةً تستحق كل إعجاب وتقدير، وصبروا على قصف المدافع، وهول الهجوم، حتى تهدّمت

(١) خارف: بطن من همدان موطنهم شرق قاع البون وشماله (المقحفي ص ١٣٩).

(٢) سفيان: قبيلة من بكيل من ولد شعبان بن أرحب بن الدعام لهم ناحية تعرف بحرف سفيان شمالي صنعاء بمسافة ١٤٦ ك.م وترتبط بقضاء حمر (المقحفي ص ٢٠٨).

(٣) جحانة: مدينة في الشرق الجنوبي من صنعاء بمسافة ٤٠ ك.م وبها مركز ناحية خولان العالية (السابق ص ٨٣).

(٤) مولده بكوكبان سنة ١٢٦٧ وأخذ عن علماء عصره وواجه الأتراك في مدينته وكان يعتمد عليه في فصل الخصومات وله مؤلفات في النحو وغيره توفي سنة ١٣٤٤.

(٥) بنو بهلول: ناحية من نواحي صنعاء ما بين سنحان وخولان العالية (المقحفي ص ٥٩).

(٦) ناحية من نواحي صنعاء الجنوبية بمسافة ٢٧ ك.م مركز هاوعلان (السابق ص ١٨٢).

(٧) قرية من ناحية بلاد الروس (السابق ص ١٥٣).

البيوت، واختلط الفريقان بين الجدران المبعثرة، والأزقة الضيقة، وخسر الفريقان في الأرواح عدداً لا يستهان به

وفيه كان تجهيز السيد النبيل علي بن علي السراجي بتجريدة تعمل في الجهات الغربية من صنعاء، واشتبكت هذه التجريدة مع قوة عثمانية شديدة البأس، تحت قيادة يوسف باشا، في محل (قراويل)^(١) من همدان، وتبهرت القيادة العثمانية للخطر المداهم، فأرسلت تجريدة إلى قرية (الجلب) من الجبهة، مخافة أن يحدث إنتقاص، ثم أتجه السراجي إلى (الماعز)^(٢) من بلاد (شمال) فانقض بعده محمود رؤف من ولاية الأتراك، وتناوش الفريقان مناوشة خفيفة، ثم ان العثمانيين جلبوا مدداً عظيماً تحت رئاسة يوسف باشا، وجنحت بعض أبناء البلاد إلى معاونتهم، فتحول المجاهدون إلى (الشاحدية)^(٣) حتى وافاهم المدد من الإمام، فتسنى لهم تطهير هذه الجهات، وعلت كلمة المجاهدين فيها (من بني الخياط)^(٤) إلى بلاد شمال^(٥) والأهجر^(٦).

وفي هذا الشهر هجم الشيخ احمد مساعد علي طابوس جَهَّزته القيادة العثمانية إلى جنوب صنعاء، واعترضه المجاهدون في (سواد حزين) من أرباض العاصمة فقتلوا أكثر رجاله، وانقلبوا بغنيمة لا تقدر، واهتزت صنعاء لهذا الحادث الخطير على أبواب العاصمة وبعد حادثة (سواد حزين) حدثت مناوشات بين أبناء البلاد والقوات العثمانية، في حوالي صنعاء، وعلى مقربة

(١) قراويل : قرية من همدان من عزلة الربع (المقحفي ص ٣٢٦).

(٢) الماعز: من جبال الطويلة بالشمال الغربي من صنعاء قال المقحفي يعرف اليوم بحصن شمال (المقحفي ص ٣٥٩).

(٣) عزلة من ناحية الرجم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان (السابق ص ٢٢١).

(٤) من الطويلة كوكبان.

(٥) من الطويلة كوكبان.

(٦) من الطويلة كوكبان.

منها، في وادي الأجبار^(١) والضبعات^(٢) وبيت نمير وبيت حاضر^(٣)، وهاجمت القوات الوطنية إلى أرباض العاصمة (وفي رجام^(٤) والفرس^(٥) وبيت الحنمي) كانت مناوشات ومقاومات غير قليلة.

وفي هذا الشهر كان ارسال تجريدة إلى (حراز)^(٦) تحت قيادة السيد النبيل محمد بن المتوكل، وإرسال عصابة تحت رئاسة السيد عبد الله بن يحيى أبو منصر، والشيخ ناصر بن منجوت الأحمر من رؤساء حاشد إلى نواحي كحلان وحجة وما صاقبهما.

وحدثت مناوشات في (وعلان) (وخدار)^(٧) وما يتصل بهما في جنوب صنعاء.

وأما القيادة العثمانية، فقد كان فزعها عظيماً، حينما ترامت الأخبار بالتجهيز إلى حراز فسارعت بانتداب يوسف باشا فهرع إلى عمران، وقرر معارضة العصابة النافذة إلى حراز في طريق مرورها، وما زال يستقري آثارها حتى أنقض عليها في جبل (هداد)^(٨) بين آكام ومرتفعات وعقبات كأدا، فعرقل سيرها وجاءت قوة من حجة عليها (غالب بيك)، واستطاع المجاهدون بصبرهم وثباتهم على المقاومة، حتى نفذوا إلى العريف^(٩)

(١) عزله من ناحية سنحان بالشرق الشمالي من صنعاء (المقحفي ص ١٠).

(٢) من سنحان.

(٣) قرية أثرية في وادي الأجبار (المقحفي ص ١٠٣).

(٤) رجام بكسر الراء واد من ناحية بني حشيش بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ١٧ ك. م (السابق ص ١٧٣).

(٥) قرية في الشمال الشرقي من صنعاء من ناحية بني حشيش (المقحفي).

(٦) بلد مشهور وهو أحد قضاوات صنعاء بالقرب منها مسافة ٨١ ك. م.

(٧) خدار: بلدة تقع على ربوة أمام الصاعد من نقيط يسلم (المقحفي ص ١٤١).

(٨) حصن في حجة.

(٩) عزلة من ناحية بني العوام حجة.

وبني عوام^(١) بعد ان قاسوا مشقات كبرى.

وما زال يوسف يقتص آثارهم، حتى التحم معهم في معركة في بني (هيشم)^(٢) وثانية في جبل (ايهم)، ثم تحول السيد النبيل محمد بن المتوكل الى أسافل بلاد (الشاحذية) ثم انحدر منها الى أسافل الحيمة إلى وادي (دايان)^(٣) وكان اتباعه قد وهنوا، ومنهم من تأخر، ومنهم من خنس، فقرر الرأي على ان يجتمع السيد محمد بن يوسف والمقداد، بالسيد النبيل محمد بن المتوكل فاجتمعوا (في بني يوسف) من الحيمة، وأما يوسف فقد رجع الى (الرّجم)^(٤) وحدثت هناك معركة بينه وبين عصابة من المجاهدين، تحت إمرة السراجي، ثم ان يوسف باشا أسرع عائداً إلى همدان، فتم بذلك تطهير بني الخياط، وما اتصل بها، وأراد المجاهدون مهاجمة الطويلة، فانحدر يوسف راجعاً لملاقاتهم

وفي بيت مفرح من الضلع دارت معركة حمي وطيسها، فانسحب منه المجاهدون

وفي هذا الشهر حدث التحام وعراك بين المجاهدين وقوات عثمانية في الحيمة ابتدأت (من الفجرة) وامتدت (الى بيت شردة) والى (يناع)^(٥) وإلى بيت (الهرطا) وبعث الإمام الى المجاهدين بالمدد، كما أن طابوراً أسرع إلى بوعان مدداً للقوات العثمانية

وفي هذا الشهر تمّ للمجاهدين استرداد (حصن شيعان) من بلاد حجة بعد حرب ضروس

(١) ناحية من قضاء حجة .

(٢) من الشاحذية الطويلة .

(٣) هي الآن عزلة من بني مطر (المقحفي ص ١٥٤) .

(٤) من ناحية الطويلة .

(٥) حصن منيع من عزلة الجدعان بالحيمة الداخلية (المقحفي ص ٤٧٧) .

وفي هذا الشهر خرج فيضي الوالي العثماني بصنعاء إلى سيان^(١) والمخرف^(٢) والمعاین^(٣) يريد بذلك تخويف المجاهدين، كي لا يهاجموا (محمود نديم) الذي جمع أموالاً من اليمن الأسفل، واتجه بها إلى صنعاء، وبعد رجوع الوالي فيضي باشا إلى صنعاء خرج مسرعاً إلى (عمران) في الجهة الشمالية لصنعاء بقوة ذات شأن، وكانت الاخبار قد ترامت إليه بحصار (حصن عفار)^(٤) وفيه قوة عثمانية كبيرة، فأسرع إلى نجدتهم بنفسه.

وفي شهر ربيع الأول هرع إلى كحلان بقوات كبيرة استطاع بها أن يفرق جمع المجاهدين، وفك الحصار المضروب على حصن عفار بعد معركة كانت في (قرية المشعيب)^(٥)، وانسحب المجاهدون بعد أن أبلوا بلاءً حسناً، وانقلب فيضي راجعاً إلى صنعاء بعد فراغه من المهمة التي قصدها، وبعد انصراف فيضي عاذ المجاهدون في هذه الجهات فلموا شعثهم ونظموا صفوفهم، واشتبكوا مع قوة عثمانية، في ملحمة ذات بأس في (قرية قيدان)^(٦) وخسر العثمانيون فيها خسارة كبيرة، ثم في قرية (الصعيفية)^(٧) وغنم المجاهدون غنائم وطاردوا قوات عثمانية الى (سودان)^(٨) ثم الى (شرس)^(٩) ثم الى عقبة سلامة.

وفي هذا الشهر حدثت معركة بين المجاهدين وقوة عثمانية في محل

(١) سيان: قرية عامرة جنوب صنعاء من بلد ذي جرة (بلاد الروس اليوم) (المقحفي ص ٢١٨).

(٢) قرية كبيرة من اليمانية العلواء (تعداد ج ١ ص ٥٣).

(٣) قرية من عزلة اليمانية العليا ناحية خولان الطيال (السابق ص ٣٩٥).

(٤) قرية من عزلة بني موهب ناحية كحلان عفار من قضاء حجة (التعداد).

(٥) هي الآن عزلة من ناحية كحلان عفار حجة.

(٦) من عزلة بني موهب ناحية كحلان عفار.

(٧) قرية في شرس بالشرق من حجة (المقحفي ص ٢١٦).

(٨) عزلة وناحية من حجة.

(٩) ما بين حجة وشرس.

(المحطة) من بني السياغ في أعلى الحيمة، وكانت الحرب في هذا الموقع شديدة فاضطر المجاهدون إلى الانسحاب إلى (بلاد الثلث) من ناحية بني مطر وتلا هذا عراك عنيف بين عصابة من المجاهدين وأخرى عثمانية في (بيت الرميم) من الحيمة ووافى المجاهدين المدد المرسل من الإمام إلى هذه المواقع، واقتضى التدبير تكثير العصابات والزعماء في بني مطر وحواليها، للمراقبة على الطريق الغربية بين صنعاء وحراز والحديدة

وفي هذا الشهر وصلت بعثة من الاستانة إلى صنعاء لدراسة الأحوال ووضع قرار بما يجب إجراؤه في اليمن

وفي هذا الشهر التحمت عصابات من المجاهدين بقوات عثمانية، في جبل (قيفان) ^(١) واشتد العراك طوال ثلاثة أيام، وانتهت المعركة بخسارة كبيرة في العثمانيين

وفيه حمي وطيس النزال بين يوسف باشا وعصابة من المجاهدين في الأشمور، تحت إمرة السيد الكبير عبد الله بن يحيى أبو منصّر وفي حصن (جلملم) ^(٢) كانت حرب شعواء ابلى فيها الوطنيون بلاء عظيماً حتى أصيب قائدهم السيد المذكور برصاصة اخترقت كتفه، وكتب الله له السلامة

وفيه تجمعت قوات عثمانية في الحيمة، وشددوا الهجوم على السيد النبيل محمد بن المتوكل وعصابة المجاهدين التي تعمل تحت إدارته، ودارت الحرب في (محل قرامش) (والى نيهان) (وعزّان) (وبيت الخطابي)، واضطر المجاهدون إلى الانسحاب إلى حدود بلاد كوكبان، لكثرة جموع الأعداء، وبقي الأمام يواصل المدد إلى هذه المواقع وغيرها

وفيه نشبت معركة في بلاد (مسور) وهاجم العثمانيون محل (عُلمان)،

(١) من جبال بني مطر (أئمة ق ٢ ص ٩٥)

(٢) قرية من عزلة الأشمور وأعمال عمران (المقحفي ص ١٢٧).

وضايقوا المجاهدين فيه، وبعد مقاومة عنيفة، تراجع المجاهدون الى مواقع اخرى

وفي أول ربيع الثاني جهّز الإمام تجريدة الى حوالي دمار

وفيه عاد الوفد العثماني إلى الأستانة بعد ان قرروا استصحاب طائفة من رجال اليمن المواليين للعثمانيين^(١) ليشرحوا للمقامات العالية في الأستانة حالة اليمن، وما يجري فيه

وفي هذا الشهر دارت معركة عنيفة بين الفريقين في (مقولة) (من سنحان)^(٢) وانهزم يوسف باشا فأمدّه فيضي بقوة تحت قيادته بنفسه، ولكثرة الجموع العثمانية، تفرّق المجاهدون بعد قتال بلغ أقصى درجات العنف وفيه اشتبك الفريقان في وادي علي من بلاد مسور، وأنزل المجاهدون بأعدائهم خسارات فادحة

وفي هذا الشهر هاجمت قوات عثمانية من حجة ومسور، وكان هدفهم (الشراقي)^(٣)

وفيه دارت معركة شديدة وتفرق المجاهدون، وعلى إثر هذه المعركة هجمت قوات عثمانية على المجاهدين في بني عوام وبعد مناوشات انتقل المجاهدون إلى بلاد (العريف) حيث وافاهم المدد من الامام.

(١) ذكر خبر هذا الوفد بتوسع المؤرخ محمد زبارة في أئمة اليمن ق ٢ ص ١٠٣ وذكر من ضمن أعضائه العلامة عبد الله بن علي بن عبد القادر والعلامة محمد بن يحيى المنصور والعلامة علي بن محمد الجرافي والحاج عبد الله بن محمد السنيدار وغيرهم وكان من ضمن أعضاء هذا الوفد العلامة محمد بن حسين غمضان الذي أفرد هذه البعثة برحلة مستقلة قمنا بتحقيقها ونشرها.

(٢) قرية في الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٠ كم من عزلة الربع الشرقي ناحية سنحان (المقحفي ص ٤٠٤).

(٣) جبال ملاصقة لجبل مسور ارتفاعها عن سطح البحر زهاء الفين وخمسمئة متر (نفسه ص ٢٢٨).

وفي شهر جمادي الأولى حدثت في قرية (ملاح) من رداع معركة بين المجاهدين، وأهل البلدة لممالاتهم للأتراك، ووقوفهم في وجه الوطنيين، وسرعان ما هرعت قوة عثمانية من ذمار ويريم لمطاردة المجاهدين من رداع، فأسرع المجاهدون بالتحول الى بلاد (قعدة)^(١) (وبلاد^(٢) عمار) ينتظرون المدد من الامام، وهناك عارضهم الشيخ الكبش أحد أنصار العثمانيين، وأحد الشيوخ العتاة، فأنزل به المجاهدون ضربة تليق بعتوه وأذاه.

وفي هذا الشهر تمردت رجال من الخبت التابع للمحويت واستعانوا بالعثمانيين فأوقع بهم المجاهدون في (نمره) (وجبع) من الخبت وخسر هنالك المبطلون وفي هذا الشهر احتلت العصابات المجاهدة (الصفقين) من بلاد حفاش^(٣).

وفيه نشبت معركة بين عصابة من المجاهدين وقوة عثمانية في (شرس) انتهت بعد مقتل وتخريب بتحول المجاهدين إلى بني العوام وبلاد العريف حيث ترابط هناك عصابات قوية.

وفي هذا الشهر ثار أهل حفاش واستدعوا قوات عثمانية، واستنجدوا بالبوني^(٤) من تهامة، وأرادوا المكر بالمجاهدين فأسرعوا بالتحول من الصفقين الى (القطعة والمحويت). حتى يوافيهم المدد من الإمام، ثم أن العثمانيين، ومن معهم من حفاش والخبت وأصحاب البوني زحفوا الى المحويت وكانت الذخيرة اللازمة للحرب قد نفذت من ايدي المجاهدين فتحولوا وشيكاً الى بلاد (لاعة)^(٥) وما جاورها.

(١) مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة إب بمسافة ٦٢ ك. م (المحفي ص ٣٣٣).

(٢) مخلاف من بلاد النادرة في الشمال الشرقي من مدينة إب (نفسه ص ٢٩٥).

(٣) حفاش: جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١ ك. م جوار جبل ملحان وهو ناحية تابعة لقضاء المحويت (المحفي ص ١٢٤).

(٤) هو عبد الله باشا البوني كان من الموالين للأتراك وقد قاتل وملك ضياعاً كبيرة.

(٥) لاعة: بلدة معروفة من أعمال حجة (المحفي ص ٣٥٥).

«زيارة الإمام لصعدة» «واسباب ذلك»

في الشهور الماضية كان النزاع قائماً في بلاد الشام صعدة وما يتبعها من قبائل رازح وسحار وخولان وجماعة، وما يتصل بها وكان القائد لقوات الإمام في هذه الديار المتسعة الجوانب السيد النبيل احمد بن قاسم حميد الدين، وكان الثائر على رأس هذه الديار السيد القاسمي^(١) قد تكاثرت جموعه، وتطاولت أركانه، وفي خلال المعارك المتوالية، اتفق ضرب الحصار على السيد عبد الله بن قاسم أخي القائد العام في هذه الديار، وكان حصره في (زُبيد)^(٢) على غفلة، وتعذر فك الحصار المضروب عليه، فكان هذا من الاسباب الداعية الى التفكير في الأمر، وبعد مذكرات ومحاورات بين قائد قوات الإمام وبين رجال القاسمي، تم رأيهم على أن يجتمع الإمام والسيد حسن القاسمي في رحبان من أرض الشام، وأن يحضر اجتماعهما رؤس العلما والأعيان، من سائر البلاد، وكان أخذ الرهائن والعهود والمواثيق خشية ان يحصل غدر او مكر، في أثناء الاجتماع من أشرار أو مفسدين، ولما وصل هذا الاقتراح الى الإمام، وهو محاط بالمشادة والمشاق، وأعمال المجاهدين منبثة في طول البلاد وعرضها، والتحول ستكون له آثار سيئة في فترة الجهاد وخمود العزائم، وعلى رغم كل ذلك فقد لبى هذا الاقتراح الذي نعلق عليه بكلام وجيز ونقول انه من المجازفات ومن التدبير السيء ولا سيما وهذا الاجتماع في البلاد التي يتحارب عليها الفريقان، وقد نظر الإمام إلى أمر واحد، وهو انه اذا رفض قبول هذا الاقتراح، كان ذلك مدعاة لدعاية واسعة للقاسمي وأعوانه، وربما ينخدع

(١) هو الداعي حسن بن يحيى القاسمي السابق ذكره.

(٢) وادي زبيد من ناحية حيدان قضاء خولان بن عامر (تعداد ج ٧ ص ٥١).

بعض رجال الإمام ، فأسرع إلى الوفاق^(١) وأخذ معه جماعة من علماء ذمار وصنعاء وحوث^(٢) وغيرها واخترق المسافات النائية، ووصل إلى الصفراء^(٣) من أرض الشام، ثم كان التحول إلى رحبان^(٤) حيث عين مكان الإتفاق، واستقر في (حصن السنارة)^(٥) حصن صعدة المتين، وبينما الناس ينتظرون القاسمي إذا بالانباء تتراعى، انه قد أضرب، وانه غير واثق من نفسه للدخول في مفاوضات ينتهي بها أمر النزاع، وتعددت المراسلات، واختلفت الوفود والقاسمي مصر على ان لا يقبل رأياً، وعلى ان لا يفي بما عاهد عليه، وبعد إفتضاح أمر الثائر المذكور، وظهور فشله وعجزه، آيس الناس منه وأسرع الإمام آيباً إلى مقره الذي يدير حركة الجهاد منه، وكان من آثار هذه الزيارة، وهن القبائل التي ركبت قرونها مع القاسمي، وتخوفهم من العواقب، وفاء كثير إلى الانقياد والانضواء إلى صفوف الجماعة، وعلم أثر رؤساء الشام ان الدائرة لا محالة واقعة بهم، فأصبحوا يتسللون تباعاً تاركين القاسمي وأحلامه يعيش في ظلالها ولذاتها إلى ان تأتي ساعته الأخيرة، وقد كان من آثار هذا التحول، فتور حماسة المجاهدين وانطفاء جذوة عزماتهم خلال المدة التي ابتعد فيها الإمام إلى الشام ١ هـ.

«عود إلى أعمال المجاهدين»

في هذا الشهر هجمت قوات عثمانية تحت إمرة يوسف باشا إلى

(١) أي الاجتماع بالقاسمي المذكور وقد ذكر هذا الخبر المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ق ٢ ص ١٠٠.

(٢) بلدة معروفة من حاشد شهيرة بالعلماء.

(٣) الصفراء: مدينة بالجنوب الشرقي من صعدة بمسافة ٢٥ ك. م وبها مركز قضاء همدان (المقحفي ص ٢٤٩).

(٤) واد عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣ ك. م كان قائماً به سد الخائق (نفسه ص ١٧٤).

(٥) يقع على مقربة من صعدة به مركز ناحية سحار (نفسه ص ٢١٣).

الأهجر^(١) وقابلتهم عصابات المجاهدين بالكفاح وتطارد الفريقان من شعب إلى آخر، ومن قرية إلى أخرى بين الضرب والفتك وتطاول العراك (إلى بيت قطينة)^(٢) ودارت فيه معركة حامية الوطيس وأخرى في بني (الخياط) وفي محل (سافوف)^(٣) (وبيت القطيبي)^(٤) (وفي التعبرة)^(٥)، وفي طول هذه البلاد جرت معارك دامية، ومصاومات حامية، انتهت بتحول المجاهدين إلى الجهات الجنوبية الغربية.

وفي خلال غياب الإمام في الشام كان الشريف عبد الله الضمين أحد زعماء المجاهدين الأشاوس، قد وضع نصب عينيه إثارة الحرب شعواء في القرى والنواحي الواقعة شمالي صنعاء، واشتبك الفريقان في معارك حامية الوطيس منها معركة (جربان)^(٦) و(ضروان)^(٧) ثم معركة (بيت الحداد)^(٨) ثم حوادث (منكل وجبل الحمرا)^(٩) ثم عراك (الحقة)^(١٠) والاحري^(١١)، وكان الأتراك يقصفون بمدافعهم الشديدة في هذه المعارك، وتمكنوا من جلب قوات هائلة لقربها من (صنعاء) وكان الشريف الضمين يدير هذه المعارك بلباقة وحذق وحذر، فلم يقع مرة واحدة في يد العدو على كثرة المصاولة

(١) الأهجر: عزلة من ناحية شبام قضاء الطويلة.

(٢) من ناحية بني الخياط قضاء الطويلة (المقحفي ص ٣٣٣).

(٣) من عزلة الجراذي بني حبش ناحية وقضاء الطويلة (التعداد ٩ ص ٢).

(٤) قرية من عزلة الذولاني من ناحية الطويلة (المقحفي ص ٣٣٣).

(٥) من عزلة بهما بني مصعب ناحية الرجم قضاء الطويلة (انظر كتابنا معجم البلدان ص ٣٢٧).

(٦) جربان: قرية من بلاد همدان بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨ ك. م (المقحفي ٨٦).

(٧) ضروان: بلدة من ناحية همدان المذكورة ثم من خلاف بني مكرم (نفسه ٢٥٩).

(٨) من عزله ربع وادعة ناحية همدان «عبد الله الثور: اليمن دراسة موجزة للمحافظات ص ٥٨».

(٩) من ربع وادعة السابق ذكره (نفسه ص ٥٨).

(١٠) كسابقه من ربع وادعة همدان (نفسه ص ٥٨).

(١١) موضع من همدان شمالي صنعاء (المقحفي ص ١٢).

والطراد ثم انتقل إلى (حاز)^(١) وبيت عُفر^(٢) في شهر رجب من هذا العام، فتبعه يوسف بقوة وواصلت القيادة العثمانية ارسال التجريدات الى أرحب وهمدان وغيرهما من البلاد المجاورة للعاصمة صنعاء خشية ان تمتد ايدي المجاهدين إليها، ويضيقون الخناق على من فيها.

ثم عقدت هدنة بين مشايخ همدان والسلطة العثمانية لثلاثة شهور، على ان تضمن قبيلة همدان تأمين المارة في الطرق الواقعة بين صنعاء وعمران وشبام، ويعفى عن هذه القبيلة في كل مطلب حكومي وتحترم ديارهم.

وفي شهر شعبان قَدَّم رؤساء خولان، ونهم وارحب، موثيق ولائهم للإمام راغبين في مواصلة الكفاح واستمرار الصراع وعادوا من مقر الإمام بقلوب راضية شاكرة.

وفي هذا الشهر زار الإمام معقل شهارة ورافقه طائفة من العلماء والرؤساء وتفقد امور شهارة وأسوارها وتحصيناتها.

(حملة رداع وقعدة واعمالها)

أشرنا قبل هذا الى أن عصابة توجهت الى رداع وانتهت الى بلاد عَمَار وقعدة وأن الشيخ الكبش عارضها وآذاها، فانتقمت منه لبغيه، ونشير هنا الى ان هذه العصابة كانت تحت إمارة السيد الكبير محمد بن يوسف الكبسي، والشيخ الزعيم المقداد، ومن اعمال هذه العصابة، مناوشات عنيفة

(١) قرية أثرية من ناحية همدان على طرف قاع المنقب (نفسه ص ١٠٢).

(٢) قرية خربة غنية بالآثار وهي بالغرب من صنعاء على طرف قاع المنقب شرقي جبل كوكبان بمسافة ٥ ك.م.

حدثت بينهم وبين قوة عثمانية، بالقرب (من النادرة)^(١) ثم اسرعت هذه العصاة بالانتقال الى (قاع الحقل)^(٢) من (بلاد يريم)^(٣) مارين (على خبان)^(٤) وعُرسوا^(٥) في قرية رباط القاع وامتدوا الى (عراس)^(٦) منازل الباطنية الاسماعيلية، وسرعان ما تجمعت القوات العثمانية (من صنعاء وذمار وإب) دفاعاً عن يريم وخوفاً من قطع الطريق الجنوبية الهامة، ودارت الحرب بين الفريقين في (ذي صارف) من (عراس) و (ذي شميران) ثم تحول المجاهدون الى (بني مسلم) من بلاد يريم وانتشروا الى بني سيف^(٧)، وشرذمة غزت الى (السدة) من بلاد خبان واشتبكت مع قوة عثمانية في معركة بجوار (السدة) ثم انتقلت هذه العصاة الى بلاد ذمار وتمردت طائفة منها على القائدين المذكورين، ثم أجمع الرأي على ان يفرق القائدان في العمل فاتجه السيد محمد بن يوسف الى قاع (جهران) ففاجأته قوة عثمانية فانقلب الى مخلاف ابن حاتم (من بلاد انس) ثم اتجه الى الحقل بين وادي اعشار والمخلاف وانتهى الى الدار البيضاء، وخولان، وتفرقت عصابته.

واما القاضي الأديب حسين بن احمد العرشي فانه قاد حملة من خولان والحداء واشتبكت مع العثمانيين في قرية (صنعة)^(٨) ودارت معركة حامية عنيفة، دامت اسبوعاً، ثم تحول الى اطراف جهران وانحدر الى اطراف مغرب عنسي، وقد تخلف من أصحابه طائفة من الحداء وتركوه وتجاوزها الى

(١) مدينة في الشرق الشمالي من إب في وادي نبا (المقحفي ص ٤٢٩).

(٢) هو المعروف بحقل قتاب في بلاد يريم الآتية.

(٣) مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ١٠٥ كم تقع في سفح جبل يصبح المطل عليها من الناحية الشمالية الشرقية (نفسه ص ٤٧٢).

(٤) واد مشهور سميت به ناحية خبان من أعمال يريم (الحجري ص ٣٠٤).

(٥) أي باتوا.

(٦) عراس: عزلة من بلاد يريم (نفسه ٥٩٧).

(٧) عزلة من ناحية القفر وأعمال يريم (المقحفي ص ٣٢٠).

(٨) صنعة من قرى بلاد انس (الحجري ص ٥٤٧).

بلاد يريم، واستقر في قرية (بلسان^(١)) والرباط) وفي هاتين القريتين قصده القوة العثمانية، ودارت بين الفريقين حروب شديدة، تحول في إثرها المجاهدون الى (مغرب عنسى) الى محل (وثن)^(٢) ثم انحدروا الى (بلاد عتمة)^(٣) فعارضهم الرّيمي أحد مشائخ عتمة وحدثت فتن ذات شان بين المجاهدين، والشائرين في وجوههم من أهل عتمة وبدرت بوادر التمرد تظهر من رجال خولان فأراد النهوض بهم الى (القفز)^(٤) وبعد مشقة جمعت هذه العصابة تحت قيادة العرشي وانحدروا الى القفر، وعارضهم كثير من أبناء البلاد، وتألّبت عليهم المشائخ من كل صوب فاضطر قائد هذه الحملة الى الإياب، فأسرع راجعاً الى الإمام وفي شهر ذي القعدة الحرام بث الامام أفراداً من المجاهدين لأخافة الموالين للأعداء في قضاء كوكبان من المشائخ والرؤساء.

وفيه خرجت قوات عثمانية الى (أرحب)^(٥) الى بيت دغيش^(٦) والى (الحيفة)^(٧) فكان من الإمام ارسال بعض رجاله الأشاوس الى بني يريم^(٨) وخارف^(٩) لجمع عصابات وتشكيل جماعات للمقاومة فهرع الناس افواجاً تلبية للطلب.

(١) قرية من عزلة عبيدة ناحية وقضاء يريم انظر كتابنا معجم البلدان ص ٢٧١ .

(٢) قرية من عزلة مغرب عنس (المقحفي ص ٤٦٠).

(٣) عتمة : بالضم ناحية مشهورة من ذمار بالغرب الجنوبي منها بمسافة ٦٢ ك. م (المقحفي ص ٢٧٧).

(٤) هو قفر حاشد. أرض واسعة تمتد من جبال يريم شرقاً حتى جبال وصاب العالي غرباً ومن مغرب عنس شمالاً حتى المخادر جنوباً (المقحفي ص ٣٣٤).

(٥) أرحب : قبيلة كبيرة من همدان وهي ناحية تابعة للواء صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥ ك. م (نفسه ص ١٧).

(٦) عزلة من سدس بني حرموز بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٦ ك. م.

(٧) قرية من خمس زندان بأرحب.

(٨) من حاشد.

(٩) اخارف من همدان موطنهم شرق قاع البون وشماله.

وفي هذا الشهر حدثت معركة بين عصابة، وقوة عثمانية (في سواد بوسان)^(١) انتهت بخسارة العثمانيين وفيه حدثت معركة في (بيت الحمودي) من اطراق ذبيان واشتد العراك فيها، وخسر المجاهدون فيها بعد ان ابلوا بلاء حسناً، ودخلت القوة العثمانية (ذيفان)^(٢) وهدأت الحالة.

وأطل هلال ذي الحجة ختام هذا العام، ولم يحدث فيه من الحوادث ما يستحق ان يسطر ويسجل. سنة ١٣٢٦ هـ.

طلع هلال هذا العام، والحالة العامة في اليمن تبعث على الأمل فحركات الدفاع قوية، وأعمال العصابات أستوت، والسلطة العثمانية تلوح عليها مخايل الوهن، وتقذف بكل مaldiها من قوة فتفشل، وتبؤ بالخسران.

وفي هذا الشهر محرم مفتح العام الجديد، تشاور الإمام مع كبار رجاله في تنظيم الصفوف، وبذل الجهود والمثابرة على العمل.

وفيه نشطت عصابة من أهل الحيمة للعمل ضد السلطة العثمانية في الطريق الغربية بين صنعاء وحراز، وسلبت وفتكت.

وفيه حدثت مناوشات بين المقداد في آنس، وقوة عثمانية والتحم الفريقان في معركة حامية الوطيس، في الموضع المعروف (بحمام علي)^(٣) وفي هذا الشهر تجمعت قوات عثمانية الى (عمران)^(٤) واتجهت الى الأشمور واحتلت اكثر أماكنه، واتحدت كلمة الأهالي على الدفاع اعانة للمجاهدين، (وفي قطع عزان) دارت معركة بذل فيها الفريقان اقصى

(١) بوسان: بلدة عامرة بأرض الخشب من أرحب.

(٢) قرية من ناحية ريدة من قضاء عمران.

(٣) من أعمال ضوران آنس.

(٤) بلدة معروفة بأعلى البون تبعد عن صنعاء شمالاً بمسافة ٤٨ ك. م.

جهودهم واستمر وصول المدد للعثمانيين كما ان الإمام واطر الأنجاد بكل مستطاع .

وفي شهر صفر نشطت رجال الجهاد في هذه البلاد بعد ان تكاثرت جموعهم، وشحذت عزائمهم وأمدهم الإمام برجال عرفت بسالتهم، فانزلوا بالقوات العثمانية خسائر فادحة، وكثرت القتلى والجرحى وغنم المجاهدون غنائم طائلة، وتقهر العثمانيون عن مراكزهم مشخين خاسرين .

وبعد هذه الحادثة وافى مدد عثماني كبير تحت قيادة يوسف فاضطربت نار الحرب، واشتد العراك واسترد العثمانيون ماكانوا قد تركوه من الأماكن، وانتهوا الى مدينة كحلان^(١)، وتحول المجاهدون الى الجبال المصاوبة لكحلان بعد معارك استعرت نيرانها واشتدت احوالها وانثالت الغارات الى المجاهدين يتربصون الفرصة السانحة للأنقضاض .

وفي هذا الشهر هجمت عصابة من المجاهدين، على مدير بلاد آنس بعد ان خرج من ضوران يريد صنعاء، فسلبت العصابة كل ما كان في رحاله، وأتت على رفاقه قتلاً وأسرأً، وكانت الغنيمة وفيرة .

وفي هذا الشهر هاجمت القوات العثمانية المرابطة في كحلان (جبل عيال يزيد) وحدثت بينهم وبين المجاهدين معارك شديدة وتهدمت قرى كثيرة من جراء ذلك، ثم تفرق المجاهدون وتجمعت القوة العثمانية (الى ريده) .

وفي هذا الشهر غزت عصابة المقداد جماعة من العثمانيين، كانت في (المحيام)^(٢) وكبسوهم على غرة، واثخنوهم حتى امثلات البقاع بأوصالهم،

(١) كحلان: سبق ذكرها من أعمال حجة .

(٢) أقصى بلاد الحجة الخارجية وفيما بين أطراف بلاد ريمة وبرع ووادي سهام على مسافة ثلاثة أيام غربا وهو بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الياء المثناة وآخره ميم (أئمة اليمن ص ١٢٢) .

وسالت الأماكن بدمائهم وغنم المجاهدون غنائم طائلة من أسلحة وغيرها، وكان لهذه الغزاة أثر بارز في الدوائر العثمانية ومن يواليها.

وفي هذا الشهر هجمت القوة العثمانية التي تجمعت في ريدة على (السود) وقابلهم المجاهدون، وجرت معركة بين الفريقين، انتهت بفرار العثمانيين إلى عمران.

وبعد هذه الحوادث نشطت رجال العصابات للعمل السري، فأرهبوا كل من يشتط في ولاء العثمانيين، ويبالغ في نكاية المجاهدين، وباغتوا كل معاند إلى عقر داره، وحدثت قضايا شخصية كثيرة في الحيمة وبني الحارث، وهمدان، وأرباض صنعاء وغيرها هذا أعظم ما حدث مما يستحق التسجيل البيان، ومرّت الأيام وفي الأحوال سكون من الجانبين غير مفهوم سببه، اللهم إلا أن يكون الكلال والونى^(١) قد أخذ مأخذه من الفريقين.

وما أطلت أيام رجب من هذا العام إلا والانباء تترامى من وراء البحار بحوادث الأستانة وما جرى فيها، وتلهج بذكر الانقلاب الخطير الذي شغل أفكار العالم في شرق الأرض وغربها، فقد نجحت مساعي رجال جمعية الاتحاد والترقي بعد فصول تاريخية طويلة واضطر السلطان عبد الحميد إلى إعلان الحكم الدستوري^(٢) مكرها، ونزل على إرادة الأمة مرغماً، وشاءت إرادة الله أن يحدث هذا التغيير العظيم والانقلاب التاريخي الهام، بدون ثورات ولا صدام، بل أسرع السلطان إلى التنازل للأمة والرضا بإعلان الدستور بعد أن برح الخفا وتبين استفحال حركات الدستوريين.

وهذا كما تعلم إنقلاب له معناه وله آثاره، فإن الحكومة العثمانية،

(١) الفترة والضعف.

(٢) إشارة إلى قيام مدحت باشا مع جماعة الأحرار بإعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ثم ما صحبه من خلع السلطان عبد الحميد، انظر تاريخ الدولة العلية ص ٧٠٦ تحقيق احسان حقي .

كانت مسخرة لإرادة الذات الشاهانية^(١)، ولا راد لما قضت، فلما حدث الانقلاب التاريخي، اقتضى ذلك قلب نظام الحكومة في اساليب الحكم وأوضاع الحكومة الداخلية والخارجية والحربية والمالية، والثقافية، والاقتصادية، وانتهاج سياسة جديدة لذلك جعلنا هذا الحادث نهاية فصل تاريخي، ومبدأ صفحة تاريخية جديدة.

واذ قد انتهينا من تلخيص حوادث سنة ١٣٢٥ هـ وصدر سنة ١٩٢٦ هـ، فلنقدم للقارئ هنا قصيدة من الشعر الجميل الرّصف، من نظم السيد الأديب محمد بن أحمد الشامي^(٢) قدمها الى الامام في مطلع عام ١٣٢٥ هـ، وهي ما اثرنا الترويح على القارئ بنقلها، وتركنا غيرها مخافة أن يسأم المطالع، ويخرجه الإستطراد من حوادث التاريخ الى الادب وإليك نصها:

مثلي عن التشبيب حقاً يعذر ورأيت كل فصيح شعر نظمه وعلي حق للشباب وانه زمن به روض الأمانى أخضر مرت لياليه علي لآليا فلكم نظمت الشعر فيه مشيباً حتى اذا مضت الثلاثون التي من قام منتصر لملة احمد وتكاثفت ظلم الضلال فأظلمت	لكن شككت بان يقال مقصّر بصفات إيام الشباب يصدر لأحق بالنظم البديع وأجدر نضر ودوح الوصل فيه مشمر تزهر على جيد الزمان وتزهر فكأنه درّ هناك وجوهر طابت وسبع في السنين وأشهر إذ شاع جور في البلاد ومنكر وأبيح خمرفي الطغاة وميسر
---	--

(١) أي الملكية.

(٢) هو الأديب محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشامي ولد بصنعاء سنة ١٢٧٨ هـ وهاجر إلى صعدة لتلقي العلم ورافق في عدة غزوات ضد الأتراك وهو شاعر فحل توفي سنة ١٣٢٩ (نزهة النظر ص ٥٠٧).

(الفصل الثاني)

انتهى القول بنا عند حديث الانقلاب العثماني والإشارة إلى ما يستلزمه النظام الجديد، ونحن الآن نشير إلى ما يتعلق باليمن وشؤونه من آثار هذا النظام الحديث، ليتم لنا ربط تاريخ هذه الحقبة بأسبابها ومقتضياتها، فنقول: أنه لما أستقر الدستور وفتح السلطان عبد الحميد له صدره أخذت الأمور تجري في مجرى جديد، وتشق لها أساليب جديدة، تحت آراء المفكرين والوزارات والمجالس، وقد كان بحث اليمن من موضوعات الحكومة الجديدة، فأسرع الصدر الأعظم كامل باشا إلى إرسال سيدين من أبناء اليمن ساقتهما الأحداث إلى الاستانة، أرسلهما إلى الإمام، وزودهما بكتاب وجيز اقترح فيه أن يوفد الإمام رجلين أو ثلاثة إلى الاستانة للبحث معهم في شؤون اليمن .

وقد كان من بعض زعماء العهد الجديد الكتابة إلى جلالة الإمام من الحديدة، إحدى مدن اليمن الساحلية^(١) أفاضوا في مزايا العهد الجديد، ونددوا بالحكم البائد وأوسعوه سباً وشتماً ورجوا من الإمام، فك الأسرا الذين في معتقلات الأسر والمن عليهم فسارع الإمام إلى إرسال أكثر الأسرا تحت الرعاية والإكرام إلى الحديدة، وسلموا إلى الإدارة هناك بدون قيد ولا شرط، تطوّلاً وامتناناً .

وبعد أن تشاور الإمام مع رجاله تم الرأي على إيفاد ثلاثة من أكابر المخلصين إلى الأستانة، وتم الرأي على انتخاب السيدين الكبيرين محمد بن أحمد الشامي، وعبد الله بن إبراهيم، والقاضي النبيل سعد بن محمد الشرقي، فودّعهم الإمام بعد أن زودهم بكل ما يجب لهم في رحلتهم، وكان ابتداء سفرهم من مقام الإمام في اليوم السادس والعشرين

(١) وهي الآن ميناء اليمن الزاهر ومظهره الحضاري الأخاذ

من شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٦هـ^(١) واتجهوا إلى الحديدة وقوبلوا بكل حفاوة وإكرام، ثم أبحروا إلى الإسكندرية حيث شاهدوا مفاتن المدينة وبريقها الأخاذ، ثم واصلوا السير إلى الأستانة، وقد نزل هذا الوفد الامامي منزل التكريم والإجلال والرعاية في عاصمة آل عثمان، واحتفت بهم الحكومة وأولو المقامات العالية فيها، وأقيمت لهم المآدب الفخام في قصور الوزراء، وشاهدوا في هذه المدينة التاريخية ما يبهر الأبواب، وبعد مراجعات طويلة ومحادثات شتى قررت الوزارات المسؤولة في الحكومة، حل مسألة اليمن، وإزالة الشقاق، بتقسيم البلاد اليمنية إلى قسمين أحدهما قسم الجبال التي يقطنها أتباع المذهب الزيدي، ويكون هذا لجلالة الإمام وتنسحب القوات العثمانية منه، وفي هذا القسم صنعاء العاصمة، ومن مدنه المشهورة ذمار وعمران ويريم والطويلة وكوكبان وما عدا ذلك للدولة العثمانية، واشترطوا بقاء مندوب لهم في صنعاء مع طابور واحد من الجند العثماني، وعلى الإمام نفقات هذا الطابور، ولالإمام الخيار في مقره إن أراد صنعاء فله ذلك وإن أراد غيرها فلا اعتراض عليه، وكان وضع هذا القرار زمن صدارة حسين حلمي باشا، بعد أن شاهد الوفد استقالة الصدر الأول كامل باشا، وأخذ على وفد الإمام العمل بهذا القرار وأخبرهم إنه قرار الحكومة بعد طول الأخذ والرد فيه.

وبعد إملاء هذا القرار على الوفد تطورت الأحوال في الأستانة، واشتدت الثورة ضد النظام الجديد، وقامت المدينة العثمانية تطالب برجوع

(١) ذكر هذا الوفد المؤرخ زبارة فقال : في آخر العام وصل إلى الإمام وهو بقفلة غدر عبد الله بن أحمد الملقب بالذعرور ومحمد بن عبد الله الشرفي الملقب مزيقر وهما ممن سجنهم أحمد فيضي ونفاهما مع غيرهما من أعيان اليمن في سنة ١٣١٠ إلى أزمير ورودس فوصلا ومن معهما في آخر هذا العام إلى الإمام من الباب العالي فيها ترغيب الإمام وحثه على إرسال بعض العلماء ممن يعتمد عليهم من خاصة رجاله للمراجعة للسلطان ووزراء الدولة العثمانية فيما فيه صلاح أمور اليمن.

حقوق السلطان والشرعية، وحدثت فتن طويلة، انتهت بعزل السلطان عبد الحميد وإخراجه من عاصمة آبائه في اليوم الخامس من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ وسبق إلى (سلانيك)^(١) ببعض أولاده وجلس على كرسي آل عثمان أخوه السلطان محمد رشاد الخامس^(٢) وتطورت الأحوال والوفد اليمني يشاهد بعينه تطور الأيام ، وتبدل التاريخ ، ثم سارع الوفد اليمني بالأياب في أواخر شهر رجب بعد أن زاروا رجال السلطان رشاد وحظوا بمقابلة جلالته بين مظاهر العطف والاحترام ، وما طلع هلال شهر رمضان من هذا العام إلا والوفد اليمني في صنعاء، وقد قابله الوالي العثماني الجديد حسن تحسين باشا وأنزل الوفد في بيته ساعة وصوله .

والأحوال هادئة في زمن ولاية هذا الوالي ، فقد كان على جانب عظيم من العقل والذكاء، وحب الإصلاح، أستطاع بذلك أن يخمد النيران المشتعلة ، واختلطت رجال الإمام برجال السلطة العثمانية، واحترم كل فريق الآخر وكانت أوامر الإمام تنفذ وتقرر في كل مكان من اليمن، وكان الناس يقدمون كثيراً من الواجبات المالية إلى الإمام، فلا يعترضهم الوالي العثماني .

وكانت الأمور القضائية تسير على وفق منهاج الشرع بدون معارض حتى تبدل هذا الوالي ، وجلس على كرسي الرياسة خلفه فتطورت الأحوال^(٣) .

(١) مدينة رومية قديمة واقعة في جنوب مقدونيا على بحر الأرخبيل ويبدأ منها طريق حديدي يصل إلى الصرب ومنها إلى جميع أوروبا .

(٢) هو السلطان محمد رشاد الخامس ولد سنة ١٨٤٤ وكان توليه بعد خلع عبد الحميد ومن بعده لم تر الدولة العثمانية صبراً وتكالب عليها الأعداء وكانت سنة ١٩١٨ قبيل استسلام تركيا للخلفاء بأشهر .

(٣) كان عزل حسين تحسين باشا في أوائل سنة ١٣٢٨ واستبدل به الوالي محمد علي باشا يقول عنه المؤرخ زبارة: كان طائشاً تائهاً متجبراً فظاً غليظاً عامل الناس بالعنف والشدة وبالعاقبة =

وفي الشهور الأولى من سنة ١٣٢٨ هـ دارت رحى الحرب بصورة عنيفة في بلاد الشام، وبعد معارك حامية الوطيس تمكن الجند الإمامي من الإستيلاء على هجرة (فله)^(١) مقر الداعي القاسمي، وسقطت الحصون الشامية والمحلات الهامة، ووقع في الأسر، ثلاثة من أعوان الثائر^(٢)، هم مصدر حركاته وسكناته، والعامل الوحيد في تدبيره وتدميره، وأرسلوا إلى الإمام فكان إنزالهم في شهارة تحت الرقابة مع ما لاقوه من عطف الإمام، وحسن معاملتهم، وكان هذا الحادث الذي قضى على ثورة القاسمي والقبائل الشامية في شهر رجب سنة ١٣٢٨ هـ.

وفي هذا العام وصل إلى صنعاء زمرة نحو ثلاثين رجلاً من الأوروبيين، وترددوا في أزقة صنعاء وأماكنها بأساليب الحرية، وإطلاق العنان، فاشتد غضب أهل اليمن، والتهبت أدمغتهم، وكثر كلام الناس في هذا الحادث الذي لم تعهد البلاد له شبيهاً، ولولا يقظة السلطة العثمانية في صنعاء، لكانت لهذه الزمرة خاتمة تجر إلى مشاكل وأحداث.

وفي شعبان من هذا العام أرسل جلالة الإمام السيدين الكبيرين عبد الله بن إبراهيم والضمين (إلى جبل برط) لإصلاح قبائل الجبل واستنفارهم إلى الجهاد، وحل مشاكلهم التي يتطاحنون من أجلها على الدوام.

وفي ذي القعدة الحرام، من هذا العام تحول الإمام إلى (حرف سفيان) ثم تحول إلى (ذيبين)^(٣) وحصن ظفار ثم انتقل إلى (خمر) واستقر

= من نقل إليه أنه متصل بالإمام وحكامه.

(١) هجرة في جماعة من بلاد صعدة.

(٢) يذكرهم المؤرخ زبارة بالأسماء وهم: حسن بن حسين عدلان الفلي وزير القاسمي وظهيره وحاكمه القاضي محمد الشاذلي والثالث يسمى شائم.

(٣) ذيبين: مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٩٤ كم بها مركز ناحية ذي بين التابعة لقضاء عمران (المقحفي ص ١٦٩).

بها وسنبين القصد من هذا التجول في ما يلي هذا عند الكلام على حوادث سنة ١٣٢٩ هـ وربطها بمقدماتها واسبابها، وبهذا انتهى الفصل الثاني .

(الفصل الثالث)

هدأت الأحوال وأطمأت النفوس نوعاً ما زمن ولاية تحسين باشا وحدثت في هذه الفترة أحداث هامة منها القضاء على ثورة القاسمي، والإستيلاء على أهم ما في يديه من بلدان وحصون .

ومنها ظهور مبادئ دعاية محمد بن علي الإدريسي في شمال تهامة، في مقاطعة صبيا وأبي عريش، وسن عقد فصلاً للإمارة الإدريسية وأحداثها وتطورها ومبادئ نشئوها وما انتهت إليه، فذلك من أعظم العبر، ومن ألوان التاريخ الذي لا يجوز إغفاله .

ومنها إنتشار حكام الإمام في طول البلاد وعرضها، الأمر الذي ما كان أحد يقدر وقوعه، فلما ارتحل تحسين باشا وخلفه كامل باشا متصرف تعز، ثم أعقبه الوالي العسكري محمد علي باشا^(١)، وكان هذا الوالي الجديد جريئاً مغروراً قليل الأناة، فألهب البلاد ناراً، وأضرَمَ الفتن، بسوء إدارته، وأخذ في التقاط من يتهمهم بموالاة الإمام، وأراد أن يطبق في البلاد الإدارة العرفية والأحكام العسكرية، فمن الناس من سجن في أفظع السجون، ومنهم من ضرب بالسياط، ومنهم من مزقوا ماله، ومنهم من أعدّوه للشنق والإعدام، فارتفعت القلوب، ووجلّت وأشفقت النفوس وهلعت، واستطارت الألباب، وتحيرت ولم يجد الإمام سبيلاً لعلاج هذه الحالة غير إمتشاق الحسام، ومقابلة الظالم بالسوط حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين .

ولكثرة التقلب الذي أصاب الأستانة وعدم استقرار حكومة آل عثمان

(١) سبق ذكره .

لما كان هناك من تجاذب واختلاف بين رجال جمعية الاتحاد والترقي ، وخصومهم السياسيين^(١) ، كان إهمال أمر اليمن ، وتناسي ما أبرموه مع وفد الإمام بالأستانة .

وأخذت الإدارة العثمانية ترهق الرعية بالعسف والتنكيل والمصادرات ، فكان ذلك أكبر باعث على إعادة صفحة من صفحات الحروب ، انتصرت فيها الحقوق الوطنية ، وانتقمت من الظالمين أسوأ الانتقام .

وقد كان من الإمام إيفاد من ذكرنا من رجال جلالته إلى جبل برط لإستنفار قبائله إلى الجهاد ، وقابلهم الإمام إلى الحرف ، وتحول إلى ذيبين ، حيث استنفر رجال حاشد ، وسفيان ، وأرحب ، وعيال سريح ، وجبل عيال يزيد ، والتف حول الإمام كرام السادات وعيون الرؤساء ونشط الناس للجهاد ، وانشالوا من كل صوب للجلاد ، وكانت البلاد تشعر بخطر يتراكم ، وجور يتعظم ، ويوقنون أن السلطة التركية مجدة في أمرها بخطوات متتابعة ، وان لونا من ألوان السياسة الجديدة في الحكم قد بدأ يظهر ويشع ، وذلك تجنيد جيش نظامي من الأمة اليمنية يسمى (بالملة) ، وهي فكرة دقيقة جداً ، والناس في كل زمن ومكان لا يتفقون على غاية واحدة ولا يزالون مختلفين ، فكان هذا كله سبباً لما نقصه عليك ، من عظام الحوادث ، واضرام نيران الكوارث ، ونشير هنا أن الأمير محمد بن علي الإدريسي بعث برسالة إلى الإمام ، يحضه فيها على منازل الأتراك ومناوأتهم ، وتشديد الضغط عليهم ، وكانت الظروف السياسية الحرجة تقتضي مناجزة الأتراك بكل وسيلة ممكنة ، فانتهاز الإمام الفرصة ، وأوفد من قبله القاضي الأديب حسين بن أحمد

(١) ما كاد يعلن أصحاب جمعية الاتحاد والترقي الدستور باسم الوطنية والحرية حتى هبّ الأعداء من صليبيين ويهود وماسونيين في الانقضاض على الرجل المريض وكثرت الاغتيالات واطيح بعبد الحميد وعين بدله محمدرشاد فلم يدم في الحكم طويلاً وهذا معروف في كتب التاريخ .

العرشي إلى (صبيا)^(١) مقر الإمارة الإدريسية وأخذ الإدريسي يعدّ العدد، ويهيء الأسباب لضربة الأتراك في عسير^(٢)، وما يتصل بها من مواقع تهامة الشام، وكان أول تفكير تمّ الرأي عليه، وأجمع العزم على تنفيذه، هو القيام بحركة تطويق كبير على صنعاء، عاصمة البلاد، ومستودع الذخائر، ومقر الإدارات العليا للبلاد، ولكن هذا التطويق والحصر الهائل يفتقر إلى جهود كبرى، ورجال وعتاد وتدابير دقيقة إذ لا يؤمن أن تزحف قوة من غرب البلاد أو جنوبها، أو تتجمع القوات المبعثرة في أوساط البلاد، فتقوم بعمل حاسم لذلك كان إجمالة الرأي والإمام معروف بالأصالة في الرأي والدقة في التطبيق والحزم في الأمور، فكانت الخطة العسكرية المحكمة أن أرتأى الإمام، تجريد جيش إلى (يريم)^(٣) في جنوب صنعاء على مسافة أربعة أيام، ليشغل بال من في ذمار ورداع^(٤) ويريم، ويحول دون نجدة تأتي من مدينتي (إب) (أو تعز) وملحقتهما، وتجريد جيش إلى (حراز) في غرب صنعاء على مسافة يومين منها ليقطع ما قد يأتي من الحديدية وتهامة، ويعمل في بلاد حراز إذ أنها موبوءة، ففيها طائفة من القوة العثمانية، ومن أهلها طائفة من الباطنية، متحمسة في نصرة الأتراك متفانية في سبيل تأييدهم، وأوشاب من غيرهم، والطريق الموصلة بين صنعاء والحديدة تشق جبال حراز صعوداً وهبوطاً، وأية نجدة تأتي فمناجزتها في هذه البلاد أيسر من المناجزة في غيرها من البلاد المظمتة الأرجاء.

وتجريد جيش إلى (حجة) في الغرب الشمالي ليناهاض القوات المبعثرة هناك ويحول دون ما قد يتسرب من منافذ تهامة إلى حجة وما وراءها.

(١) من مدن تهامة ولها أعمال كثيرة وفرضتها جيزان (الحجري ص ٤٦٢).

(٢) عسير مدينة معروفة تضم عدة جهات.

(٣) يريم : بلدة معروفة من يحصب تضم عدة عزل وأقسام انظر الحجري ص ٧٧٩.

(٤) رداع : مدينة بالشرق من ذمار بمسافة ٥٣ ك. م (المقحفي ص ١٧٥).

وكان فتح ميدان في عمران وشبام وكوكبان ، لمضايقة القوات المرابطة في هذه الأماكن ، وهذه البقاع شمالي صنعاء على مسافة يوم واحد .

وكان فتح ميدان العاصمة الذي تحقق به تطويقها وفصلها عن سائر البلاد وحصرها حصراً دقيقاً ، ومهاجمة العثمانيين إلى أرباضها مما اضطهرهم إلى إقفال الأبواب ، وتحصين أسوارها ، ووضع الغام في أفنائها .

وسنلم بالحديث إماماً مقتضباً عن كل ما جرى في الميادين التي ذكرناها ، وسنؤثر الاجمال لا التفصيل والاشارة دون التطويل ، لئتم لنا ما نرمي إليه من ربط الحوادث وتعليلها ، وبيان آثارها في أسلوب متسق وبيان مجتمع غير مفترق .

فأما ميدان (يريم) فانه كان تحت قيادة السيد الكبير عبد الله بن إبراهيم والشريف المحنك عبد الله الضمين^(١) فقد اتجهت الجنود من شرق العاصمة حتى جاست خلال ديار خولان والحداء ، وانتشرت إلى معبر وحوالي ذمار ، ونفذت إلى أطراف بلاد (يريم) ففي خودان^(٢) دارت معركة بين القوات الإمامية وبعض أعدائها ، ثم في (عراس) وفيه باطنية جرت معركة حامية الوطيس ، وتغلب عليها الجند الإمامي .

ثم كانت معركة (يريم) ، وكانت القوة العثمانية ، قد تحصنت بها وناجزها الجنود من كل جانب ، وتم احتلالها بين الدماء والدموع ، وبين ضرام النيران وأهوال الطعان ، والحروب شرور ، مذ كانت في المجتمعات الإنسانية .

وما انسلخ شهر صفر إلا وقد تخلت بلاد يريم من القوات العثمانية واستولى المجاهدون على فوهات الطرق ، وأطراف البلاد منها .

(١) هو عبد الله بن محمد الضمين أحد قواد الجهاد في مناضلة الأمراء .

(٢) خودان : جبل من بلاد يريم على مسافة أربعة أيام جنوباً من صنعاء .

وأما ميدان حراز^(١)، فقد قاده أربعة عظام، من خيرة رجال الحروب، وتوزعوا أقسام البلاد الحجازية، وهي مترامية الأطراف، وبعد أن تجمعت القوات إلى الحجرة^(٢) وعانز^(٣) من الحيمة، أخذت تتسلق جبال حراز الشاهقة، من جوانب متعددة تبعاً لخطة متفق عليها، وتم للمجاهدين بعد بضعة أيام الإستيلاء على عزلة بني الخطاب^(٤) وبيت^(٥) المدعي وانشروا في حصبان^(٦)، وارتفعوا إلى جبل مسار^(٧) الجبل الحصين الوعر المتسع الجوانب وامنوا في خططهم، وهاجموا وثبتوا حتى بلغوا إلى (الهجرة)^(٨) وعتارة^(٩) ورشقوا (مناخة)^(١٠) مركز هذه البلاد برصاصهم، وحالوا بينها وبين أجزاء البلاد، وتدفعوا على (الشرقي)^(١١)، أماكن الباطنية وحصونهم المتينة، وجبالهم الشاهقة الخصبة، وتم لهم في هذا الميدان الإستيلاء على قسم (لهاب)^(١٢) وهوزان^(١٣)، ولم يقفوا عند هذا بل أرسلوا طلائعهم إلى بني إسماعيل واحكموا خطة حراسة الطريق الموصلة بين صنعاء والحديدة، وشغلوا بال القوة التي ترابط في مناخة وشبام^(١٤)، وانتشروا في آفاق حراز،

-
- (١) حراز: أحد قضوات صنعاء بالغرب منها بمسافة ٨١ ك. م.
(٢) الحجرة: قاع فسيح من أعمال الحيمة الخارجية به مجموعة من القرى.
(٣) جبل واسعة ذات قرى وحصون من الحيمة الخارجية كما ذكر.
(٤) عزلة من قضاء حراز (الثور ١٣٧).
(٥) قرى عزلة بني الخطاب.
(٦) عزلة من بلاد حراز وهي تشمل عدة قرى (المقحفي ص ١٢١).
(٧) عزلة معروفة من حراز. انظر (الثور ص ١٣٣).
(٨) من عزلة هوزان من حراز (الثور ص ١٣٦).
(٩) من عزلة مسار السابق ذكرها.
(١٠) بلدة معروفة قال عنها المقحفي تقع بالغرب من صنعاء بمسافة ١٢٠ ك. م تتوسط بينها وبين الحديدة.
(١١) عزلة من بني يوسف وأعمال الحيمة الداخلية والربع الشرقي من جبل حراز أيضاً (المقحفي ٢٣١).
(١٢) لهاب: جبل ومخلاف من قضاء حراز.
(١٣) حي من حمير ومخلاف عامر بالسكان من مخاليف حراز.
(١٤) هو شبام حراز جبل مطل على مناخة من الجنوب وهو موضع حصين.

وتداعت البلاد تحت أقدامهم ، ولم يبق فيها مقاوم عنيد من أهلها غير الباطنية .

وأما ميدان حجة ، فإن أعماله أدار دفتها السيد يحيى شيبان^(١) ، وامتد العمل في كثير من ملحقات حجة ، ففي مسور ، ومهابط حامياته العثمانية تعددت المعارك ، واشتدت المقاومة ، وسقط المضمار^(٢) ، وبيت عمر وبيت فائز^(٣) والمصنعة^(٤) والرميح^(٥) والكلالي الأعلى والأسفل ودارت معركة في بيت عداقة وفي الشراقي .

وفي الظفير^(٦) ووقع في الأسر كثير من رجال هذا الميدان العثمانيين ، واشتدت الحرب في الظهرين^(٧) وصعصعة ، وخنعت البلاد ، وانقادت ، حتى هرع كثير من مشايخ حفاش ، ومن يتصل بهم يقدمون الولاء والاخلاص للإمام على ضوء هذه الحوادث .

وأما ميدان عمران فقد هاجم المجاهدون مدينة (عمران) وأتوا على أرباضها وحصروا من فيها وكذا جرت معارك في شبام وكوكبان ومكر^(٨) . وفي جميع هذه المواقع انهزم فيها العثمانيون وقاسوا أليم الضربات ، وتحملوا أنواع التنكيل الذي تجره الحرب بطبيعتها ومعناها .

(١) هو يحيى بن ناصر بن أحمد شيبان ولد سنة ١٢٩٨ بحصن الظفير وأخذ عن العلماء واستعمل في قبض الواجبات ثم جرت بينه وبين الإمام مشادة أدت إلى اعتقاله ثم الإفراج عنه وله في جهاد الأتراك حوادث تحدثت عنها كتب التاريخ توفي سنة ١٣٤٤ (نزهة النظر ص ٦٤٨) .

(٢) المضمار: بلدة من عزلة هوازن ناحية مناخة .

(٣) ويقال لها بيت الغاش من عزلة الجبل (الثور ١٣٨) .

(٤) من العزلة السابقة (الثور ١٣٨) .

(٥) مواضع من تلك الجهات .

(٦) جبل شامخ في الجهة الشمالية من حجة .

(٧) من ضواحي حجة .

(٨) حصن يحاذي كوكبان ويطل على الطويلة (المقحفي ص ٥٥) .

وأما ميدان صنعاء، فهو الهدف الذي لأجله انتشرت القوات في كل جانب هام من البلاد، وقد اسندت القيادة في هذا الميدان للسيد الزعيم النبيل أحمد بن قاسم حميد الدين، فأسرع إلى وضع الخطة الكفيلة بالمراد، من وضع صنعاء تحت ضغط الحصر، وخوف التطويق، وكان هذا الميدان أحفل الميادين بالرجال والسلاح والمال، وتناول من البلاد المتناثرة حول صنعاء، بني حشيش^(١) وبني الحرث^(٢) وهمدان^(٣) وسخان^(٤) وبلاد البستان^(٥)، فكل هذه البلاد وهي نواح^(٦) واسعة، امتلأت بالرجال.

وفي الروضة^(٧)، على مسافة ساعة واحدة من العاصمة، جرت معركة بين الفريقين من أهول المعارك وأحماها وطيساً، وقضي على كثير من مبانيتها.

وفي شعوب^(٨) وهو مزارع ملاصقة لسور صنعاء وقرى أرباضها، جرت حروب وأهوال وفي طيبة^(٩) برأس وادي صهر كانت حوادث انتهت بتخريبها، وفي قلعتي عضر^(١٠) في الجانب الغربي حدثت معارك ذات

(١) قبائل تلحق بخولان الطيال وهي الآن تابعة للواء صنعاء وهي ثمانية أقسام (المقحفي ص ١٢٠).

(٢) تقع شمال صنعاء بمسافة ٥ ك. م وهي خمسة أقسام انظرها (نفسه ١٠١).

(٣) تقع في الشمال الغربي من صنعاء وتضم عدة مناطق (الثور ٥٧).

(٤) ممتدة من قاع صنعاء الجنوبي إلى ما يجادل خولان العالية (المقحفي ص ٢١٣).

(٥) هو الاسم القديم لمخلاف بني مطر غربي صنعاء (المقحفي ص ٥٢).

(٦) أي فسيحة.

(٧) ويقال لها أيضاً روضة أحد شمال صنعاء بمسافة ٥ ك. م إحدى منارات المدينة.

(٨) ضاحية صنعاء الشمالية (نفسه ٢٣٥).

(٩) حصن مشهور مطل على وادي صهر بمسافة ١/٢ ٧ ك. م. يعرف قديماً بدورم.

(١٠) قرية في غربي صنعاء أسفل جبل يحمل اسمها مرتبطة بصنعاء (المقحفي ص ٢٨٨).

صول وبأس وفي الخمسة^(١) ومنند^(٢) ومتنة^(٣) والقاهر^(٤) والسرارة^(٥) والمحازيب^(٦) والقليس^(٧) جرت حروب وخطوب، وهذه كلها بلدان معروفة تابعة لصنعاء أقصاها على مسافة يوم واحد يبعد عنها، وامتدت الجنود المحاصرة إلى (حدة)^(٨) و(وعلان) و(خدار) وما يلا بس هذه المواقع من قرى صغيرة، وآكام حقيرة مثل ضبر خيرة والخميس^(٩) وبيت الزيادي^(١٠)، وهاجم المجاهدون قلعة جبل (نقم) وهو جبل صنعاء المطل عليها من الجهة الشرقية.

وتحمس المجاهدون في منازل العثمانيين في أرباض صنعاء، واحتلوا الأماكن التي سردناها، وسيطروا على الطرق من كل جهة، وقطعوا المدد من كل سبيل، وحالوا بين صنعاء وغيرها من البلاد، وأصبحت لا تملك من أمرها شيئاً.

وقد قابل الأتراك هذه الحركات العسكرية الكبيرة، برباطة جأش، في صنعاء فصبروا وسهروا على حراسة الأبواب، ومداخل العاصمة وعوراتها، وبذلوا كل جهودهم في الدفاع عنها وأصابهم وأصاب أهلها في سبيل ذلك ما هو ضروري الوقوع في مثل هذه الظروف، من خوف وجوع وارتفاع

(١) من مخلاف بني شهاب الأسفل قضاء صنعاء (الثور ٦٢).

(٢) مند: من مخلاف بني شهاب الأسفل قضاء صنعاء.

(٣) قرية بالغرب من صنعاء في حقل سهمان ناحية البستان (المقهي ص ٣٦١).

(٤) حصن في مدام ناحية همدان صنعاء.

(٥) قرية في جبل حضور من ناحية بني مطر.

(٦) من قرى خولان الطيال من عزلة حضر.

(٧) من قرى جبل النبي شعيب ناحية بني مطر (المقهي ص ٢٣٦).

(٨) حدة: قرية من حازة بني شهاب في ناحية بني مطر غربي صنعاء بمسافة ٥ ك. م (المقهي ص ١١٢).

(٩) من بلاد الحيمة.

(١٠) من قرى بلاد الروس على مقربة من نفيل يسلم.

أسعار، ووباء وفقد الحاجات المعيشية، وكلما حاول الأتراك أن يعملوا ليشقوا الطرق، ويفكوا الحصر ردّوا على أعقابهم خاسرين، وسقط ما في أيديهم وتدفقت الأسرى إلى الإمام من الميادين كلها، وأخذ المجاهدون من المغانم، ما لا يدخل تحت حساب، وسيقت كثير من المدافع والأسلحة التي وقعت في أيدي المجاهدين إلى الإمام، وغصت معتقلات الأسر بالوافدين عليها كل هذا والإمام في (خمر) يدير دفعة الحرب، ويصدر الأوامر إلى جميع الميادين، ويعقب على كل الأحداث، ويرسل الأمداد، ويضع الوسائل التي تعين رجال الجهاد، وقد كان من سداة الرأي عدم الاذن بمهاجمة صنعاء، وأخذها عنوة، لما يتوقعه الإمام من معرّة الجيش عند أول خطوة، وما يصيب المستضعفين من ويل وضرر في مثل هذه الأحوال لذلك (رأى) أن المطاولة أسلم، وإن العدو إذا لم تأتته نجدة تستحق التقدير من وراء البحار، فهو لا شك مستسلم، وإن طال الأمد عليه.

وقد تبع هذه الحوادث استسلام حامية بوعان^(١) وبيت السلامي^(٢)، ونشوب معركة مهيلة في (بيت ابن مهدي) في الحيمة، وكان هذا العمل الشاق العظيم في خلال شهري محرم وصفر وشطر من ربيع الأول من هذا العام ١٣٢٩ هـ.

وعظمت المنّة بما أتاح الله من إرغام الأعداء وتشتيت قواهم، وخذلانهم، ووقوعهم بين أسير يساق، وقتيل تمزقت منه الأوصال، ومنهزم لا يلوي على شيء، ولا يدري إلى أية غاية يرمي، ومحصور قد أحيط به فهو حيران يتخبط في حيرته، ولا يجد سبيلاً ينجيه من محنته، وذلك أثر البغي وعاقبة العدوان.

(١) بوعان: من قرى بني مطر تمر فيها السيارات من صنعاء إلى الحديدة.

(٢) من قرى الحيمة الخارجية (المقحفي ص ٢٠٩).

ولما علمت الدوائر العليا في الأستانة بما وقعت فيه رجالهم باليمن، سارعت إلى بعث حملة عسكرية كبرى، وأسندت قيادتها إلى رجل من خيرة رجالها (أحمد عزة باشا) وزودوه بالذخيرة والمؤن، فأسرع على أمواج البحار إلى ميناء الحديد، وما لبث أن اتجه تَوَّافاً في الطريق إلى حراز يسوق أمامه قوات عنيفة، وتجهيزات تامة النظام، فاضطر المجاهدون إلى الانكماش والتراجع، إلى الحجرة من الحيمة خشية أن يفاجئهم خطر، وهم أشتات متفرقون، وفي بلاد قد تعين الغريب الواغل على إخوانهم وأبناء شعبهم، وكان تنظيم خطة الحرب على طول الطريق من (مفحق)^(١) في الحيمة إلى قرب جبال صنعاء الغربية ففي مفحق ثم في الخميس، دارت معارك حامية الوطيس بين المجاهدين، والحملة التركية، وتلقف لها المجاهدون في بيت السلامي وبيت حصبة^(٢)، وأصدقوها ضرباً وطعنات، وكانت القوات العثمانية لكثرة عددها، واستكمال أهبتها تغلب فتشق الطريق وتتقدم بين أهوال الحرب، ونيران القتال، وقد أمتدت الحاميات التركية على رؤوس الجبال من بني سليمان إلى أعلى بني السياغ^(٣) إلى جبل شعيب، لحماية الطريق، ولمطاردة المجاهدين الكامنين، في هذه الزوايا.

وفي اليوم الرابع من ربيع الثاني، وصلت القوات العثمانية إلى شعبان البروية من بلاد البستان على مسافة خمس ساعات إلى صنعاء، وفي هذا المحل دارت معركة حامية الوطيس بين الفريقين، واشتد فيها العراك والنزال.

ولما علم المجاهدون أن لا قبل لهم برد هذا السيل المتدفق جنحوا إلى الخطة التي تم رأيهم عليها، وتجنبوا الاشتباك مع القوات العثمانية بعد

(١) بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية (المقحفى ص ٤٠٠).

(٢) من عزلة المخلاف قسم الربع (الثور ٨١).

(٣) عزلة من الحيمة الداخلية.

هذا في معارك صادقة، وناوشوهم على طول الطريق، حتى تم للقوات العثمانية فتح أبواب صنعاء، وفك تطويقها وتفرق المجاهدون وفأوا إلى الإمام إلى (خمر) .

وأما ميدان حجة فقد إتجه إليه سعيد باشا أحد رجال الأتراك المجربين، واستعاد البلاد بحملة قادها من تهامة، ونفذ بها من أغوار البلاد إليها.

واضطر من في يريم إلى تخلية البلاد، خشية أن تضغط عليهم قوة تركية، وهم في بعد من مركز المدد والأعانة.

وتراجعت قواد الجيوش إلى الإمام، وفي خمر استجم كثير منهم، بعد أعمال مضيئة، وحوادث ذات شأن.

أما قائد الحملة الجديدة عزة باشا، فقد كان من رجال الحنكة والمهارة السياسية، ومن الزعماء الأفذاذ، وممن يعرف ان المخاطرة والمجازفة بالقوات والرجال لا يستفاد من ورائها شيء غير الخسران والندم والفشل، وأراد أن ينتهج سياسة في السير جديدة، فلان جانبه، وتغافل عن كل ما مضى وذهب، ولم يعاتب أحداً على ميل قلبه ولا آخذ^(١) أحداً كان قد حمل السلاح عليه، وفرق الأموال واستدعى الرؤساء وأدناهم منه، وأدرّ عليهم أخلاف العطايا، حتى هدأت النفوس الثائرة التي أربعها وأخافها محمد علي باشا، بطيشه وبطشه، ولما اطمأنت الشؤون، وساد السكون، أخذ هذا الرجل الماهر، يضع خطة تنتهي بها الحروب في اليمن، وتسلم الحكومة العثمانية المنهوكة القوى، المهددة بالأخطار، في أصل دارها، فيكون قد أسدى يداً لحكومته تشكره عليها.

فأخذ في مراسلة الإمام، وفي إبداء الرغبة الصادقة في لم الشعث،

(١) آخذ وواخذ بمعنى عاقب.

وتضميد الجراح، وجمع الكلمة، وإطفاء نيران الفتنة، والإمام كما قررناه غير مرة لا ينبغي غير مقاومة الظلم، ومحاربة العدوان، لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون الشريعة الغراء هي المرجع للناس في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، لذلك كان يخف إلى كل رأي يدعو إلى سلم، وتقوى وعدل وحق، ففي آخر جمادي الثانية قدم إلى (خمر) مقر الإمام، رجالان من أكابر العاصمة وعلمائها المولى حسين بن علي العمري والسيد الكبير قاسم بن حسين العربي أبو طالب، وخاضا في شؤون الصلح ودرسا مع الإمام، وجهة نظر الفريقين، ثم عادا إلى صنعاء لتمام دراسة الموضوع مع عزة باشا.

وتبع ذلك خروج عزيز^(١) بك أحد رجال عزة باشا إلى خمر، وكان الإمام، قد فك أسر كثير من أسرى الحرب التي يعود وزرها إلى جهالة الوالي التركي محمد علي باشا.

وفي خلال هذه المفاوضات، تقاربت وجهة النظر، وفك الإمام بقية الأسرى وأعيدوا إلى عزة باشا، وها نحن نسرد لك حديث الصلح مبينين جميع ما احتوى عليه، ونعلق عليه بكلمة قصيرة على عاداتنا في هذا الكتاب.

(١) هو القائد المعروف عزيز بك علي المصري الذي تذكر له أياد بيضا في نصرة المسلمين.

(صلح دعان)

دعان قرية من قرى الجبل المشهور بجبل عيال يزيد واقع في شمال صنعاء على مسافة^(١) منها، وقد سمينا هذا الصلح بصلح دعان لانبرامه فيها، ولاتفاق زعيمي المتحاربين في ساحاتها، فقد اختلفت الرسل بين الإمام وبين (عزة باشا) وتعددت المخابرات وتمت دراسة الموضوع من كل وجوهه، وما أطل شؤال من هذا العام، إلا والأمر تبشر بخير عظيم، وفوز كبير، والسلطان تتفاهمان تفاهماً يحفه الود والإحترام، وحسن الظن، والرغبة الملحة إلى حقن الدماء، وإصلاح شأن فئتين من المسلمين عظيمتين، ورغب الوالي العثماني عزة باشا، أن يجتمع بجلالة الإمام ويتحدث معه مشافهة، فكان من الإمام الموافقة على ذلك الرأي، وعين موضع الاجتماع، مدينة خمر المحل الذي أقام فيه الإمام من آخر سنة ١٣٢٨ هـ إلى هذا التاريخ، ثم بدت أمور اقتضت تغيير هذه الفكرة ذلك أن خمر بلدة من بلدان قبيلة حاشد، وهذه القبيلة كثيراً ما تركب قرونها، وتحدث الأحداث، وقد خف بعض رؤسائها إلى الإمام يعلن في غير استحياء ولا وجل أنهم معارضون في عقد الاجتماع في بلد من بلدانهم لأن بعض رؤسائهم ينالون عطاءً من السلطة العثمانية، فارتأى الإمام تحويل الرأي، وكان (دعان) البلد الذي شئت الحظوظ والمقادير، أن يسجل فيه أكبر صلح عقد في اليمن، ويجتمع فيه عظيمان من المسلمين، فاختص بهذا الشرف، وأصبحت هذه القرية المغمورة، بلدة تاريخية، يذكر اسمها ما بقي التاريخ .

وبعد أن أعد الإمام ما يجب إعداده، وتحول إلى دعان، أرسل أخص رجاله إلى عمران لمقابلة الوالي وتكريمه، ووصل الوالي إلى دعان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٢٩، وقد صحب الوالي

(١) بياض في الأصل ومعجم البلدان للمقحفي ص ١٥٦ تبعد عن عمران بمسافة ١٨ ك.م.

نخبة من رجاله نذكر منهم عصمت^(١) باشا الذي هو الآن رئيس جمهورية تركيا الأنقرية^(٢) (فسبحان مقسم الحظوظ) ، ولبت الوالي ثلاثة أيام وفي صبح يوم السبت أصبح آيا بنفس مطمئنة، وعمل رابع، وصفقة ناجحة، وقد تحادث مع الإمام محادثات طويلة أسفرت عن وفاق وحسن قصد من الفريقين ولقوا من الإمام كل حفاوة وإكرام، وعناية وإقبال وشيعةهم عند عودهم مسافة غير قصيرة، وتعارفت الوجوه وزال الخلاف، واستبشرت النفوس، وهزها المرح والإزدهاء، وأعلنت الجموع اغتباطها ورضاها.

وهذا نص الصلح الذي أجمع عليه الفريقان وانتهى به تاريخ الحرب اليمنية العثمانية، وقرت السيوف في أغمادها بعد نضال طويل :

(نص الصلح)^(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

المادة الأولى :

يصير الإئتلاف بين حضرة سمو الإمام المتوكل على الله رب العالمين وبين حضرة صاحب العطفة رئيس عموم أركان الحرب، وقومندان القوة اليمنية عزة باشا المأذون من طرف الحكومة السنية على الوجه الآتي ، ويكون تصديقه من المرجع العالي وذلك في ما تصلح به أحوال جبال اليمن الآتي بيانها، التي تجري فيها الآن إدارة الحكومة السنية العثمانية، فعلاً وهي : لواء صنعاء وما يحويه من اقضية صنعاء وعمران وكوكبان وحجة وحراز

(١) هو عصمت .

(٢) نسبة إلى أنقرة عاصمة تركيا حالياً .

(٣) أورد المؤرخ زبارة نص هذا الاتفاق بإيجاز في أئمة اليمن ق ٢ ص ٢٠٤ .

ما عدى صعفان وبني مقاتل ثم أنس وذمار ويريم ورداع ومن بلهاء تعز من الزيديين ان كانوا نصف الناحية فصاعداً .

المادة الثانية :

يكون إجراء الأحكام الشرعية بين المتحاكمين ممن يسكن البلدان المذكورة آنفاً في جميع المواد، وإقامة الحدود على كل مرتكب لأسبابها، كل ذلك على المذهب الزيدي ويكون تعيين الحكام وتبديلهم من طرف الإمام، وذلك بأن يكتب الإمام إلى الولاية كتاباً بتعيينهم وتطلب الولاية تصديق ذلك من الأستانة على أن لا تتأخر مباشرتهم الوظيفة من عند أن يكتب الإمام، وتنفذ الحكومة جميع الأحكام التي تصدر من حكام الشرع ابتداءً ومن حكم الاستئناف ان لم يقنع المحكوم عليه وطلب الاستئناف .

٣ - إذا تظلم أحد من محكمة الاستئناف واشتكى إلى الإمام فيسأل سمو الإمام الحكومة عن حقيقة ذلك وإذا ظهر صدقه على صحة تظلمه أعيدت المحاكمة .

٤ - محكمة الاستئناف تشكل في مركز الولاية من رئيس وأعضاء ينتخبهم الإمام وكما يصدق تعيين الحكام يصدق تعيينهم .

٥ - إذا حكمت محكمة الاستئناف المشكلة على الوجه المتقدم ذكره بالقصاص الشرعي الذي هو إعدام شخص قاتل، قد استحق الحكم عليه بالإعدام شرعاً فعلى الحاكم السعي أولاً في طلب العفو عن القاتل من ورثة المقتول أو إرضائهم بقبول الدية من القاتل، فإن لم يساعده رفعت المحكمة الاستئنافية الأمر إلى الأستانة، وطلبت الأذن بإجراء القصاص بعد التصريح بأن الحاكم قد بذل مجهوده عند الورثة في طلب العفو أو قبول الدية فلم يعفوه بشرط أن لا تزيد مدة صدور الإرادة في ذلك على أربعة أشهر، من عند إرسال تقرير المحكمة المذكورة .

٦ - عند ظهور ما يستوجب تبديل أحد الأحكام من سوء حالة فعلى الولاية أن تخبر الإمام بذلك مع تبين الأسباب الموجبة لتبديله والدلائل الشرعية، وعلى الإمام أن يدّل ذلك القاضي .

٧ - للحكومة أن تنصب قضاة يحكمون بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بين من كان حنفياً من غير أهل جبال اليمن .

٨ - إذا حصلت دعوى بين زيدي وآخر من أهل المذاهب الأخرى الإسلامية من غير أهل الجبال يكون الرجوع في تلك الدعوى إلى محكمة مختلطة تتألف من زيديين وحنفيين وإذا اختلفت القضاة في الحكم فالمعتبر حكم القاضي الذي من جهة المدعي عليه .

٩ - للقضاة المعينين في النواحي والأقضية أن يتخذوا لهم معاونين من يثقون بهم يستخدمونهم في أمورهم، والمحافظة على أنفسهم، وفي احضار الخصوم على شرط أن لا يزيد عددهم على ستة رجال في النواحي وثلاثة في الأقضية، وعلى الحكومة أن تؤدي لهم رواتبهم بصفة مباشرين أو شرطيين، أما إذا كان هؤلاء غير كافين فالحكومة تمددهم بمعاونين من رجال الضبط بحسب ما يقتضيه الحال .

١٠ - ولاية الأوقاف والوصايا إلى الإمام .

١١ - تعفو الحكومة السنية عن كل ما سبق من أهالي الجبال المذكورة من الجرائم والبقايا المقيدة إلى تاريخ هذا المقرر، والمقصود من الجرائم هي السياسية، والتي وقعت في أثناء الحروب وتفرعاتها .

١٢ - تعفو الحكومة السنية مثل عفوها عن أهل الجبال عن جميع سوابق وجرائم وبقايا خولان ونهم وأرحب مطلقاً، وتعفو عن مقطوعيتهم إلى مدة عشر سنين بشرط توقف أهل هذه الجهات عن كل ما يورث نقصاً في جانب مأموري الحكومة، وعن التعرض لما يخل بالأمن العام في الطرقات،

فأن حصل من أحد منهم أو من جماعة منهم، مخالفة لما ذكر أدب المخالف بخصوصه بما يستحقه شرعاً، وإذا صدرت المخالفة من أهل بلد أو جهة بالاتفاق، وثبت ذلك عليهم كان تأديبهم وسقطوا من مزية استحقاق العفو في ما بعد.

١٣ - لا يطالب أحد من أهالي الجبال المذكورة بشيء غير التكاليف الشرعية الأعشار بالخرص والأغنام وبقية الأنعام بالنصاب الشرعي .

١٤ - إذا وقعت شكاية إلى الحكومة أو إلى حاكم الجهة المعين بنصب الإمام من ظلم الجبابة والخرصين أو تبين من هؤلاء، شيء من سوء الاستعمال ، لزم أولاً تحقيق الأمر من جهة الحاكم، وأكبر موظف في الحكومة المحلية، وما ثبت بوجه شرعي كان الحكم به من الحاكم والإجراء من الحكومة .

١٥ - لا مانع لمن أراد أن يعطي إلى الإمام شيئاً بطيبة من نفسه وذلك بأن يسلمه إلى سمو الإمام رأساً أو إلى مأموري الأوقاف أو أمناء الأراضي المرتبطة بالإمامة أو بواسطة مشايخ الدولة المختارين من الأهالي أو بواسطة الحكام .

١٦ - للإمام أن يأخذ بواسطة من يأتهم حاصلات الأراضي المرتبطة بالإمامة وتأخذ الحكومة السنية أعشارها الشرعية .

١٧ - ناحية جبل الشرق التابعة لقضاء آنس المؤلفة من العزل التي هي جبل الشرق وبني قشيب وبني أسعد والمنار وبني خالد وبني سويد تعفى من جميع التكاليف مدة عشر سنين وبعد انقضاء هذه المدة فعليها أن تؤدي للحكومة الأعشار وسائر التكاليف الشرعية مثل غيرها من محلات الجبال .

١٨ - يطلق الإمام من عنده من رهائن حواز صنعاء، وهي بنو الحارث، وبنو حشيش، وهمدان، وبلاد البستان، وسنحان، وبلاد الروس،

وبنوبهلول، وكذلك رهائن حراز، ، وأهل عمران .

١٩ - تأمين أصحاب الإمام وأصحاب الحكومة، وسائر الناس في ذهابهم وإيابهم بتجارة أو غيرها، وإذا اتهم أحد من الذين يدورون لاكتساب المعيشة بالسعي بما يسلب راحة العموم، قبض وسلم إلى حاكم الشريعة لتحقيق حالة .

٢٠ - بعد إمضاء هذا الإئتلاف لا يتعدى طرف على الآخر في ما هو في إدارته الآن، حرر في يوم سابع وعشر من شوال سنة ١٣٢٩ هـ وفي سابع تشرين الأول سنة ١٣٢٧ رومي .

هذه نصوص الصلح ومنها تفهم أن أول عقدة انحلت هي الإتفاق على أساليب الحكم، ونظام القضاء الشرعي، وأن الشرع يجب أن يكون المهيمن الأعلى على جميع الشؤون، وهذا ما كان الإمام يرمي إليه وقصارى ما يدعو إلى إقامته، وهذا الصلح قد وضع الخطة التي بها أنتهت المشاكل والحروب، وكفل للأمة الأمن والطمأنينة، والحق والعدل في جميع الشؤون، وبين ما هو للإمام من حقوق، وما يرجع إلى السلطة العثمانية، بنصوص بينة لا غموض فيها ولا لبس، ونشير هنا إلى أن هذا الصلح قد كان في صالح الحكومة التركية أكثر منه في صالح الأمة اليمنية، وقد يستغرب هذا الرأي، ولكننا نقيم الدليل على ذلك بما ينفي الشك، ذلك أن الأمير محمد بن علي الإدريسي، كانت حركته قد استفحلت في صبيا وأبي عريش، وأغرى قبائل القسم الشمالي من تهامة، وما يجاورها من قبائل الجبال المشرفة على تهامة الشام، على السلطة العثمانية، وكانت قد حدثت معركة حامية الوطيس في جيزان تألب فيها جموع القبائل مسوقة بالدعوة الإدريسية، وفتكت بحامية جيزان، وغنمت مغانم كثيرة، ثم بعث الأمير الإدريسي ابن عمه السيد

مصطفى إلى (عسير) لمنازلة القوة التركية في (أبها)^(١) وأعانتته القبائل، وضرب الحصار على أبها حتى اضطرت الحكومة العثمانية إلى الإستعانة بالشريف حسين بن علي، أمير مكة، فقاد حملة قوية من الحجاز في ربيع الثاني من عامنا، هذا الذي نسجل حوادثه، وخرج على رأسها، حتى فك الحصار عن العثمانيين في أبها، وأخذ الأمير الإدريسي يوطد أقدامه، ويعمل في مناوأة الأتراك، ولايتي هذا حال الأتراك في عسير، وشمال تهامة، تراهم قد وقعوا بين فتنة حاطمة، وهم أعلم الناس في تلك الأيام بحركة الإدريسي، ومن يمدده ويبعثه على مناوأتهم، والوقوف في وجوههم، وهذا كله والسيد الإدريسي يواصل رسائله إلى الإمام يستحثه، ويسرد عليه أنباء ما يقوم به من فتك، وإلى جانب هذا ما كان قد بدأ يستبين من خطة إيطاليا نحو الحكومة العثمانية، ففي هذا العام بدأت تدعي أن طرابلس الغرب، جميع أقسامه من البلاد التي تعينت لها لتحكمها، وأخذت تطالب حكومة الأستانة بالجلء عنها، وتتهيء أمرها لحكم طرابلس بالحديد والنار، وانتهت هذه الفكرة بما لا يجهله لبيب من مهاجمة إيطاليا لطرابلس، البلد الأعزل القصي، وسأقت إليه الجموع والقوات الحديثة، وكان ما كان مما لا محل له في هذه الصحيفة مما حفظه الزمن وسجله التاريخ لإيطاليا، وللأتراك، وللأمة العربية في طرابلس.

فكانت الحكومة العثمانية مهددة بالمخاوف واقعة بين أعداء أقوياء، وكانت الأستانة تلهب بنار الخلاف السياسي بين الأحزاب المتلاعنة، لا جرم أن صلح دغان كان رحمة لهم، وعوناً كبيراً لحكومتهم ويداياً بيضاء أنالهم إياها الإمام في الوقت الذي كان له مندوحة عن كل هذا، ويشن عليهم الغارات، وهم وسط ظلمة حالكة في كل وجه لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، وأضف إلى هذا ما كانت حكومة الأستانة تعلمه حق العلم،

(١) بلدة مشهورة في عسير فيها مركز بلاد عسير (الحجري ص ٥٤).

من اقتراب ساعة إعلان حرب عالمية، وتعلم أن الحرب العالمية التي أعلنت بعد هذا العام بزمان قصير، كانت تدور لإبتزاز الدولة التركية واستلاب أملاكها في آسيا وأفريقيا، وشرق أوروبا، وكانت العلاقات السياسية الدولية، قد تداعت ووهنت، وأصبحت الحرب على الأبواب، فهذا كله يؤيد ما قلناه من أن هذا الصلح كان في نفع العثمانيين وصالحهم، ويقرر ما رأيناه سابقاً من أن الإمام، كان لا يشتد إلا إذا رأى منكراً من الولاة يفيض وتفهم البلاد به، فيضطر إلى مقاومة العدوان بسابق الواجب، والوثائق التي سردناها قبلاً تعزز هذا، وتشهد له شهادة عادلة، فهذا ما أثرنا تعليقه على صلح (دغان).

وهنا نشير إلى مظهر الإرتياح، والاغتراب الذي أبدته الأمة، ولهج به الغادي والرائح، وتفتت بالإشادة به القرائح فقال الأدباء وأكثروا، وانطلقت الألسنة تحمد الإمام وتؤيده، ونظم الشعر من يحسنه ومن لا يحسنه، ابتهاجاً واستبشاراً، وترويحاً للقارىء، وبعثاً لنشاطه ننقل له صورة مقتطفة صغيرة لأن كتابنا هذا، وإن كان تاريخياً إلا أنه بهذا الأسلوب يستدعي نشاط القارىء، ويطرد عنه الملل والفتور والأدب ابن التاريخ، فلا بدع إذا خصصناه ببعض القول وطرف العناية، فمن ذلك ما قاله السيد البليغ إسماعيل بن إسماعيل المروني أحد رجال الحروب وزعماء طوائف الجهاد:

بحميد سعيك عادت الأعياد	سراً ليس تشوبها الأنكاد
حسرت عن سود الليال جلابياً	فاحيل نوراً غيب وسواد
وعمرت بالعدل البلاد فأصبحت	همداء لا جور ولا أفساد
وتبرقت حلل الشريعة واجتلت	بعقود صلح ورهن مواد
وعطفت أرباب القطيعة والنوى	فتواصلوا وتقارب الأبعاد
وتحاضر الأخوان بعد تحاصر	وتفاكه الأباء والأولاد
من ببعد ما شطت بهم وتقاذفت	فلوات بين شأنها الأبعاد

فرأيتها قرت عيوننا وانشنت
لا غرو قد نظرتك عين عناية الـ
أوما لأرباب البصائر آية
مهما دنت غلب الرقاب واذعنت
وخبث شواظ الحرب سلماً بعدما
وجمعت شمل المسلمين فكلهم
وتبدل الخوف الشديد لجمعهم
فلحظك المسعود كان مدارها
واليك يعربي عز دين محمد
لما طغت إيطاليا وبدأ لها الا
فانهذ عرش الكفر رعباً واعتلا الا
لا لا أخال فقد أقرا جانب
ولذا كف يراع مدحي حيرة
فعليه صلى الله بعد نبيه

تشني إيادي من له الأمداد
منان حتى لا يرد مراد
في ما يقال توافق الأضداد
لشريعة الرحمن زال عناد
مرت سنون ونارها تزداد
في نعمة وعلى يدك تقاد
أمنأ وصينت أعبد وبلاد
ولشأنك الأصدار والايراد
وبكم تعزز (عزة ورشاد)^(١)
ء براق في الأتراك والإرعاد
سلام وهو الشامخ الصعاد
والحق ما شهدت به الأنداد
فهو الخضم ومدحه امداد
والآل ما عمروا الرشاد وشادوا

انتهت .

ومما قاله القاضي الأديب الكبير عبد الكريم بن أحمد مطهر:

سرت نسمة الأقبال عاطرة النشر
وهبت فيا بشراي أهدي شميمها
واطلع دور اليمن بدر سعوده
وساجل شحرور المسرة ورقها
بشائر عنها الكون يهتز نشوة
وآيات توفيق ولحظ عناية

فأهلاً بريها المطيب للسر
إلى صفحة الأكوان فاتحة البشر
كما أنبلج الأصباح عن فلق الفجر
بما كان أدناه المرقص للدهر
كما فعلت في الخلق صافية الخمر
من الله أدنت للورى فلك الذخر

(١) إشارة الى الوالي عزة ومحمد رشاد سلطان الأتراك .

كأن سناء الشمس مشكاة نورها
كأن عليها من شذى الروض نفحة
تجلت فما أدراك أي لبانة
ولاحت فقل للشهب أبان سعدتها
أما الأمن معناها أما رفعة الهدى
أما فتحت للخير مرتج بابها
أما جاطت والرشد غاية كنهها
مواهب أرضعن الهدى ونشأن في
تهدل عنها الأمن والعدل في الورى
وجادت من اللآلئ بالشئن الذي
لك الله يا عصري حظيت بغبطة
ومظهرها ذاك التلألؤ في الزهر
بها أفق العليا يفتقر عن يسر
تسنى بها إدراك غبطة ذا العصر
تغين حسب الأفق لآلها البدرى
أساس مبانيها المشيدة بالبر
أما قشعت غيم الضلالة والشر
أما أنسكبت في أثرها سحب القطر
مهاد التقى لله ناشئة الخير
ومدت رواق الشرع في كنف القطر
نشدناه أزماناً لدفع أذى الضر
هي الغرة السماء في جبهة الدهر

إلى آخر هذه القصيدة فهي طويلة على هذا النسخ والطرز، وهذا ما
أثرنا نقله وأعرضنا عن فيض من الشعراء ومعين من القول ميلاً الى الإيجاز
وحذراً من البعد عن الموضوع .

وبهذا أنتهى القسم الأول من الكتاب كما أشرنا إليه في ديباجته وستتبع
القول بالقسم الثاني مستمدين من الله الإعانة والسداد والتوفيق الى الصواب
والسلامة من الزلل إنه أكرم مستعان .

(القسم الثاني من الكتاب)

انتهى القسم الأول من الكتاب، بمعااهدة دَعَّان، والاتفاق على نصوصها، وهذا مبدأ القول في القسم الثاني، الذي يشمل حوادث الأعوام التي تلت عام ١٩٢٩ إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى، وبانتهائها انسحبت القوات التركية من اليمن، ومن سائر بلاد العرب إلى الأبد، وتسلم الإمام جميع شؤون البلاد، وانتقل إلى صنعاء عاصمة البلاد اليمنية ليدير دفة الشؤون الداخلية والخارجية، ويواجه الأمور من كثب، ويصلح ما أفسدته الحروب والمنازعات المتطاولة في هذا القطر.

ونعود إلى القول في الموضوع الذي نتعجل البيان له، ونقول: إن هدنة دَعَّان تمت على الصفة التي أوضحناها، ثم وضعت موضع التنفيذ والعمل فهدأت الأحوال، واطمأنت النفوس، واسند الإمام أعمال القضاء في العاصمة وغيرها إلى أعلام من الرجال فأخذوا يباشرون الأعمال، وجلسوا على كراسي القضاء، يفصلون الخصومات ويحكمون في كل ما شجر بين الناس من خلاف وساد الأمر بالمعروف، وحوربت المنكرات وتواری أصحاب الدعارة والبطالة، وأحاط بهم الرعب إذ أن الشرع، واقف لهم بالمرصاد، يحاسبهم على جرائمهم وسيئاتهم ولم يبق للمسكرات وجه بارز ولا للقمار يد تتحرك، وأمن الناس على أموالهم؛ فأخذوا يتبادلون بها في آفاق البلاد، ونشط الفلاحون لزراعة أرضهم. وانتفى الخوف وتواری الذعر، وتلاقت الوجوه واتحدت القلوب، وتعاونت الجماعات.

وبينما الناس في غبطة ووداعة وارتياح إذا بالأنباء تتراعى بطلائع فتنة ما كانت في الحسبان، ونزاع ما كان أحد يقدر وقوعه، فالسيد محمد بن علي الأدرسي الذي أشرنا إلى قيادته لجماهير صبيا وأبي عريش وما اتصل بهما وإرقاله^(١) على القوات العثمانية في جيزان وعسير، قد تطورت به الأحوال، وتقلبت به الأهواء، وطار على جناحين، فإذا هو بيث السموم سموم الفرقة والاختلاف، ويؤلب قبائل جماعة ورازح وسحار، وما اتصل بها للثورة على الإمام، ويمدهم بالمدافع والأسلحة الحديثة والذخيرة، ويوزع النقود بدون حساب، وإذا بالواعظ الديني والسيد الصوفي^(٢) يبدو رجلاً يلعب على حبل السياسة، ويفتح قلبه لأوروبا، التي كانت تخادع العرب، إذ ذاك، وتمنيهم بسيادة قومية ونهضة عربية، ولما كان هذا الحادث بمكان من الخطورة، وكان أصلاً لأحداث وحروب وفتن خبط الناس فيها ما شاؤا رأينا إشباع القول وفاء بحق التاريخ وعبرة للناظرين وإليك البيان:

(١) كذا في الأصل.

(٢) كان ابتداء امر الأدرسي المذكور دعوى التصوف والإرشاد كأسلافه السابقين كما سيأتي بيانه فيما بعد.

(الإمارة الإدريسية ومبدأ نشوئها)

رأينا أن ننقل هنا ما قاله الأستاذ فؤاد حمزة^(١) في كتابه (قلب جزيرة العرب) لثلاثتهم بتحيز أو تحامل، قال في صفحة ٣٥٦: يبدأ تاريخ إمارة الأدارسة من محمد بن علي بن أحمد بن إدريس وكان جده السيد أحمد بن إدريس من أهل العلم والصلاح هاجر من المغرب، وأقام في مكة المكرمة برهة، ثم ذهب إلى تهامة اليمن لزيارة بعض تلاميذه ومريديه واستقر به النوى عام ١٢٤٦ هـ. (١٨٣٠م) في صبيا في جوار الشريف حسين شريف أبو عريش وأقام هنالك يشر بطريقته الإدريسية إلى أن توفي بعد ذلك بنحو سبع سنوات، قامت إمارة السيد محمد حفيد السيد أحمد على التراث الديني الذي خلفه له جده بين القبائل، وأعانتها الظروف السياسية وما كانت عليه الدولة العثمانية من تضعضع وإهمال في أواخر أيام السلطان عبد الحميد فراح يدعو إلى نفسه دعوة إصلاح ديني آملاً في الوصول إلى أغراضه السياسية.

ولد السيد محمد عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦م) في صبيا وجاء إلى مكة مجاوراً عام ١٣١٣ هـ ثم رحل إلى القاهرة، ودخل الأزهر الشريف ثم ذهب إلى واحة الكفرة^(٢) مركز السنوسية، وانصرف عنها إلى دنقلة^(٣) حيث أخواله بالسودان، ثم عاد إلى صبيا، مسقط رأسه في أواخر سني السلطان عبد الحميد، فوجد مرتعاً خصياً لعمله، وساعده على ذلك فساد الإدارة وانتشار الرشوة، وبعد البلاد عن مركز الحكومة، والاستبداد القاهر، فالتفت حوله

(١) ترجم له في الإعلام ج ٥ ص ١٥٩ فقال هو فؤاد بن أمين بن علي حمزة كاتب وباحث شارك في السياسة ولد وتعلم في عبة بلبنان سنة ١٣١٧ وتوفي سنة ١٣٧١ هـ.

(٢) الكفرة:

(٣) من جمهورية السودان تقع جنوب جندل النيل الثالث مباشرة على بعد ١٤٠ إلى الجنوب منها (الموسوعة العربية ص ٨٠٥).

الناس من كل حذب وصوب، وأرادت الحكومة العثمانية عجم^(١) عوده وارسلت إليه وفداً سار خلفه جيش كبير، يقوده القائد سعيد باشا فأفهم الإدريسي حالة البلاد للوفد، وأنه وجدها معطلة فاسدة الإدارة معدومة الأمن، فقام هو بإصلاح أحوالها عن طريق الإصلاح الديني، وذلك في مصلحة الدولة، فخدع الوفد بأقواله، ونال الإدريسي من قائد الجيش إعلاناً للقبائل يفوضه فيه بقيامه ببعض المهام، فكان ذلك سبباً في ازدياد سطوته ونفوذه، وعينتته الحكومة، قائماً لصبيا وأبي عريش وبعد برهة قصيرة ألْب على الحكومة العثمانية، وأرسل من قبله قواداً لاحتلال البلاد، ووجه ابن عمه السيد مصطفى الإدريسي إلى عسير السراة لاحتلال (أبها) وكان ذلك في ذي القعدة عام ١٣٢٨هـ وشدد الإدريسي الحصار على (أبها) وفيها المتصرف سليمان شفيق كمالي باشا إلى أن فك الحصار عنها على يد القوة التي قادها الشريف حسين بن علي أمير مكة في السنة التالية، وتحصن السيد محمد بعد وصول القوات عليه في جبل فيفا^(٢)، ولكنه عاد إلى تهامة، بعد إعلان الحرب بين إيطاليا والحكومة العثمانية، واستولى على صبيا وجيزان وأبي عريش، واتفق مع الحكومة الإيطالية التي أمدته ببعض الذخيرة، غير أن علاقات السيد محمد مع إيطاليا وقفت عند هذا الحد، واستبدل بها صداقة جديدة مع الحكومة البريطانية في السنة الأولى من إعلان الحرب العمومية، فانه عقد عام ١٩١٥م معاهدة صداقة، ثم جددت هذه المعاهدة عام ١٩١٧م، واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة حتى اللحية^(٣) في الجنوب والقنفذة^(٤) في الشمال وتعهدت له بحمايته من أي

(١) كذا في الأصل.

(٢) بلد واسع من بلاد خولان بن عمرو بن الحاف في بلاد صعدة (الحجري ص ٦٣٩).

(٣) بلدة من تهامة على ساحل البحر الأحمر على مسيرة يومين وهي فرضة وادي مور وبها أعمال كثيرة انظر (الحجري ص ٦٧٩).

(٤) ميناء صغير على البحر الأحمر (الموسوعة العربية ص ١٤٠٣).

تعد خارجي كما أنه تعهد بعدم تأسيس علاقات سياسية أو تجارية مع أية حكومة أجنبية^(١) واشتد ساعد السيد محمد بعد الحرب العمومية واستولى على الحديدة، وتعاقد مع الملك عبد العزيز بن سعود للقيام معاً لتأمين مصالح الجانبين، وظلت صلاتهما حسنة إلى آخر أيام السيد محمد.

غير أن موقف السيد كان عصياً نظراً لوقوعه بين عدوين كبيرين الإمام يحيى في اليمن، والشريف حسين في الحجاز ووقعت بلاده بعد وفاته في شعبان عام ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م، فريسة في براثن الفتنة، انتهى كلام فؤاد حمزة^(٢).

وقد نقلناه بنصه لأنه يقرر ما سوف نسرده عليك في ما يلي هذا، من قيام الأمة اليمنية منكرة ساخطة لما أشيع أن السيد محمد يد أجنبية يريد أن يحدث في اليمن حدثاً لا يدرك مداه، وقد تبين لك أصل وقوع الدعوة الإدريسية في شمال تهامة وانها كانت طريقة صوفية تقوم على أساس الطرق المعروفة في كل زمن ومكان، ثم تحولت إلى دعوة سياسية على يد السيد محمد، والمؤسف العظيم، هو أن تعلم أن السيد محمد زار مركز السنوسية في طرابلس ثم عاد إلى اليمن وفي الوقت الذي غدرت إيطاليا بطرابلس، وانقضت عليه بكل قواها الغاشمة، بادر السيد محمد إلى موالاة إيطاليا واشعال الحرب على العثمانيين! ليشغل بالهم فلا يستطيعون دفاعاً عن طرابلس، إذ أن بلاد طرابلس كانت تحت رعاية الحكومة العثمانية، فكأنما أعان السيد محمد على أهله وبيته، أما الإمام فقد تلقى الأنباء التي رددتها الألسنة في عام ١٣٢٩ هـ، وشاعت في الشعب اليمني القائلة^(٣) بتوطيد

(١) بياض في الأصل.

(٢) انظر.

(٣) أي القولة.

علاقات السيد محمد بحكومة ايطاليا، بكل ثبات وروية وأناة، وكان القائد عزة باشا يلح على الإمام في وجوب التعاون لمناهضة السيد محمد قبل أن يستفحل الشر، وبالغت رجال الإدارة العثمانية في مفاوضة الإمام بشأن الإدريسي، وحضه على أن يشارك في محاربة هذا الداء.

ولما كان الإمام يعلم ان الدعاية السياسية، قد تخلق أكثر من هذا، وان السيد محمد لما وقف في وجه الأتراك احتمل ان يقال انهم^(١) أرادوا أن يقوم الناس عليه، وان يسارعوا إلى خضد شوكته، كل هذا محتمل ولا سيما والخصومة السياسية تأتي بمثل هذا وأكثر منه، لذلك سارع الإمام ببث العيون، وارسال رقباء سرين ليشاهدوا السيد وأعماله وما يذر وما يتصل به، ومن أية جهة تأتيه الأموال، فوافته الحقائق دالة أن مدداً بحرياً وفيراً عظيماً يتوارد على السيد محمد، فارتأى الإمام ان يكتب للسيد محمد باحثاً ومستفهماً، ومحذراً وناصحاً، فأجاب السيد ان ذلك المدد يأتي من اخوان له وراء البحار.

ثم ازدادت الدعاية ضد الإدريسي وكثر القول في شأنه، وأخذت الدوائر العثمانية، تتأهب للانحدار لمقاومته، وبدأت الامارات تومي أن وراءها أشياء فأوفد الإمام، أربعة من عيون السادات الأعلام الذين لا ينخدعون، ولا يمكرون، وهم السيد الكبير أحمد بن يحيى عامر^(٢) والسيد النبيل محمد بن علي الذاري والسيد الكبير عبد العزيز بن المتوكل والسيد الكبير محمد بن محمد الشرعي ولما حل هذا الوفد بساحة السيد محمد الإدريسي قابلهم بكل حفاوة وإكرام وإيناس، وتبادلوا الحديث معه في موضوع ما يجب من إنبرام صلح بينه وبين الحكومة العثمانية، وسألوه عن صلاته بايطاليا، وتلقي المدد منها، فاعترف لهم بذلك، واعتذر ان الظروف

(١) استلحق المؤلف هذه الجملة فوق السطر.

(٢) سبق ذكره.

اقتضت ذلك وأكد لهم انه لن يبدر منه سوء إلى الإمام وبلاده، وان الشريعة هي المرجع في كل اختلاف قد يحدث بين أتباع الفريقين، وكان إياب هذا الوفد إلى الإمام بعد أن شاهدوا رأي العين وفرة المدد الايطالي وكثرة تكديسه .

وقد كان في ختام عام ١٣٢٩هـ ذهاب شيخ الإسلام علي بن علي اليماني^(١) والقاضي الأديب حسين بن أحمد العرشي^(٢) مؤلف المنظومة التاريخية^(٣) في أحوال اليمن وشارحها بالشرح المطبوع على نفقة الأستاذ الأب انستاس ماري الكرمللي العلامة اللغوي العراقي^(٤)، وكان مرور هذين العالمين من صبيا فقابلهم السيد محمد، بكل حفاوة وأكرمهم، وبالغ في إنسانهم إلى ان تجاوزوا حدود بلاده إلى الحجاز لأداء فريضة الحج المقدس ، وعند إيابهما من البيت الحرام، توفي القاضي حسين العرشي وأدركته رحمة الله في محل يقال له الكدف على مرحلة من الليف^(٥) وكان ذلك في آخر شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٢٩هـ رحمه الله، وقد رأى شيخ الإسلام أحوال السيد محمد علي وما انتهت إليه أحواله .

وقد استمر المدد الإيطالي للسيد محمد، وتتابع حتى طارت الأخبار بعظم ذلك إلى كل زوايا الشعب اليمني، وحتى هرع إليه كثير من طلاب الدنيا من كل حذب، وأخذت ايطاليا تشد من عضد السيد .

وحدث في هذه الفترة ضرب كثير من سواحل اليمن بنيران المدافع

(١) هو العلامة الكبير علي بن علي اليماني ولد بصنعاء ١٢٧٢ وبرز في سائر العلوم وتلقى العلم عليه جماعة من العلماء وشارك في عدة قضايا تاريخية توفي سنة ١٣٥٠ .

(٢) هو العلامة والمؤرخ الحسين بن أحمد بن صالح العرشي ولد سنة ١٢٧٦ بهجرة الكسب من خولان وتولى بعض العبادات كما سبق ذكره وله مؤلفات تاريخية توفي سنة ١٣٢٩ كما سيأتي .

(٣) يعني به كتاب بلوغ المرام ممن تولى حكم اليمن من ملك وإمام .

(٤) هو من أفاضل العلماء توفي سنة ١٣٦٦ .

(٥) كذا عبر المصنف والليث بالشاء المثلثة بنذر من تهامة .

الايطالية، من البوارج الماخرة على سطح البحر الأحمر، كما أنها تجلدت في حرب طرابلس، على رغم ما أنزل المجاهدون الكرام بها هناك من أليم العذاب، وويل النكال، وتعدت على كل موضع تابع للحكومة العثمانية، وأصبح العالم الإسلامي يغلي ويفور، من عدوان ايطاليا، وأما صديقها السيد محمد^(١)، فانه جمع أمره، واندفع إلى الوسوس والأحلام، مغتراً بوعود ايطاليا وبكثرة امدادها، وأخذ يفرق الأسلحة والذخائر، في أطراف قبيلة (جماعة ورازح) من القبائل الشمالية التابعة للإمام، وأخذ يدبر المكاييد، ويستدعي رؤساء القبائل، ويغمرهم بالأموال الطائلة، ويعددهم ويمنيهم، وما أطل هلال جمادي من عام ١٣٣٠هـ إلا والثورة قائمة مشبوبة في جماعة ورازح، والشعار الإدريسي مرفوع، وسحار القبيلة الكبيرة تموج وتضطرب، وطارت الأنباء بأن الأيدي تعمل لانقلاب قبائل حجور، وبني مروان المصابقة لحرص.

وهنا وجد الإمام نفسه واقعاً في موقف إن لم يتقدم ويعمل فالبلاذ مستهدفة بلا ريب لخطر مداهم، وشر مستطير ونكاية للدين لا ترفأها الأيام، وسقوط في مهواة لا يعلم إلا الله بماذا تنتهي، لأن أمر السيد محمد أصبح مكشوفاً وأصبح حاله معلوماً، وانه يعمل على حساب ايطاليا وبأموالها وسلاحها، اذن فالخطر على الأبواب، وإذا كنا نقاتل بالأمس عدواً لاستهتاره في الظلم والمنكرات، مع أنه مسلم، فكيف يسوغ القعود عن عدو تمده ايطاليا ويعمل على حسابها، وسينتهي الأمر بخروج البلاد من يد أهلها في الوقت الذي لا ينفع دفاع ولا احتجاج، واستئصال الشر قبل أن يستفحل من الحزم، واصطلام الأذى قبل ان يوغل من الحكمة، ولم يجد الإمام بداً من الإقدام، وخوض معركة حامية من جديد، فأخذ يستنفر القبائل الشرقية من برط إلى الجوف، حتى مأرب، ويجهز الجنود ارسالاً ارسالاً إلى سيف

(١) يعني الإدريسي.

الإسلام محمد بن الهادي قائد جيوش الإمام في بلاد الشام، والناظر العام في أمورها وشؤونها، ولم يدع الإمام، فرصة تمر إلا وينتهزها، فساق كثيراً من الرؤساء والزعماء إلى بلاد الشام، وواصل المدد إليهم والدُّخائر، وواتر بعث الجنود إلى الشام، كل هذا وقبائل الشام جماعة ورازح وسحار تفور وتغلي، ورجال الإدريسي يعملون ويوطدون أقدامهم في أطراف هذه البلاد، ويزودون القبائل بالأسلحة، ويوفرون لهم الأعطية، ويسوقونهم إلى موارد الهلكة والتلف، والسيد محمد يواصل تفريق الأموال، ويستجلب النفوس بالرخائب والمدد الايطالي يزداد وفوراً، ويظهر أن السيد محمد أخبر ايطاليا بحشد الإمام، وسوق الجنود والتأهب لمعركة تنتهي بإزهاق الباطل، وتفريق أوصاله، لذلك بادرت ايطاليا إلى مراسلة الإمام، وأخذت تخطب رضاه بكل أسلوب وترجوه أن لا يقاوم السيد محمد ولا يعترض سبيله، وأكدت مطلبها هذا بواسطة سفارتها بمصر، وسفارتها في عدن!، وأخذت تتوسل بكل الوسائل، مخافة أن يقع السيد محمد في مضيق لا يخرج منه، ولكن جلالة الإمام أزداد يقيناً بهذه الشفاعة، وعلم حق العلم أن جزيرة العرب سائرة إلى نهاية مشؤومة وإن أوروبا لن تدع الفرصة سانحة إلا وتنتهزها فكان هذا من أكبر العوامل في بروز الإمام، وتفريغ كل قواه وبذل كل جهوده لمكافحة الإدريسي.

ولما رأت القيادة العثمانية بصنعاء أن الإمام قد اقتنع بوجوب محاربة الإدريسي وتوفرت لدى الإمام الأدلة على وجوب صيانة البلاد من شرور الكافرين، وأنه آخذ في إعداد العدة، وتوفير الأهبة للجلاد والجهاد، سارعت إلى عرض معونتها وبعثت بكميات غير قليلة من الذخيرة الحربية والسلاح، ولما أزدادت حركة السيد محمد واضطربت نواحي صعدة أيما اضطراب، أسرع الإمام، إلى استنفار قبائل صنعاء المجاورة لها، ونشر الدعوة في طول البلاد وعرضها واستدعى المخلصين من كل أرجاء البلاد، وأرادت القيادة العثمانية بصنعاء أن لا تبقى متغافلة أمام هذا الخطر، فعرضت

على الإمام أنهم مستعدون لتجهيز ثلاثة طوابير بكامل معداته وأدواته، تكون تحت رأي الإمام، وأمره في حربها وسلمها، فتقبل الإمام هذه المعونة قبولاً حسناً واسرعت القيادة العثمانية إلى تقديم هذه الطوابير وقد أعد الإمام طوائف من رجاله لمرافقة هذه الطوابير، وعددها محافظة عليها إذ أنها ستمر في سفرها إلى بلاد الشام، في بلدان قبائل شتى، وصحاري ووعور، ومن المحتمل أن يتعرض لها أحد بسوء، والمسافة تزيد على عشرة أيام، وأعد لها الإمام النفقات اللازمة لها ولما معها من حيوانات الركوب، وحمل الأثقال، وكانت لا تنزل منزلاً ولا تهبط وادياً إلا بين رعاية الإمام وإكرامه، واستمرت في سيرها حتى وصلت إلى (ساقين)، وقد تجمعت جنود كثيرة، ولكن البلاد قد استفحل شرها، واجمعت جماعة ورايح وكثير من سواهم، على نصرة السيد محمد، وتفانت في سبيل دعوته لما يغدق عليهم من وفيير الأموال، وهمت هذه القبائل بحصر (ساقين) مركز قائد جنود الإمام.

ولما بلغت هذه القوة العثمانية الديار الشامية، وتجمعت جموع العرب تحت ألوية زعماء الإمام، أخذت القبائل تتحمس في غيها، وتتفانى في بغيتها، وأول معركة دارت في عرو^(١) بين فريق من جنود الإمام وخصومهم، وانجلت المعركة عن فرار الأعداء بعد مقتلة حامية، ثم تجمعت جموع كثيرة إلى شعب حي^(٢) والعينا، ودارت بين الفريقين ملحمة هائلة، نشطت فيها مدافع الفريقين، واشتد فيها العراك وانكشفت بفرار الأعداء، وانهزام جموعهم، وانتهت الجنود الإمامية إلى سوق الاثنين في أطراف شعب حي، وغنم المجاهدون مغانم كثيرة وسلبوا من قرى خولان أشياء طائلة ولا سيما الأسلحة، وفرت جموع رازح لا تلوي على شيء، ثم فترت همة الجنود الإمامية، ونشب سوء تفاهم بين طوائف المجاهدين، أدى ذلك إلى

(١) جبل بالغرب من صعدة بمسافة ٣٧ كم وفيه مساكن بني بحر بن خولان (المقحفي ص ٢٨٥).

(٢) نسبة إلى قبيلة من قضاة ثم من خولان بن عمرو بن الحاف من صعدة (المقحفي ص ١٣٤).

استجماع العدو لقوته، وأراد أن ينزل بهم ضربة قاصمة، ويهاجم صعدة والسنارة، والصمم^(١) فسارع رجال الإمام إلى تدبير الدفاع وتقوية وسائله، ثم نشبت معارك في الشط^(٢) والطويلة^(٣) من بلاد همدان، واستمرت الحرب أياماً، ثم كان انقضاخ الجنود الإمامية، على جمعة بني بحر ومن يتصل بها إلى أطراف جماعة، وأنزلوا بالباغين عقاباً أليماً ونكالاً عظيماً وجرت معارك دامية في أطراف خولان انتهت بفشل القبائل وأصحاب السيد الإدريسي.

ولما رأى السيد محمد الإدريسي أن الأمور في قبائل الشام انتشرت، وإن المقاومة من جانب الإمام استفحلت، وخاف أن تخضع شوكته في هذه الجوانب، وإن تفيء، هذه القبائل إلى طاعة الإمام وحكمه، سارع إلى فتح جبهة جديدة في حجور^(٤) وخدع بني سعد^(٥) وبني أحمد من بني هني^(٦) من قبائل حجور وأمدهم بالمال والأسلحة والرجال، ودبر لهم مكيعة الثورة وأخذ عامل الإمام في حصن الموشح^(٧)، وسرعان ما تجمعت قبائل بني مروان^(٨) ومستبى^(٩) والخميسين^(١٠) وبني سعد وبني هني، وهاجمت حصن الموشح، في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة الحرام عام ١٣٣٠ هـ.

(١) حصن من صعدة في جنوبها (المقحفي ص ٢٥١).

(٢) عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار (تعداد التخطيط ج ٧ ص ٨٦).

(٣) عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار (نفسه ص ٨٨).

(٤) بطن من همدان ينسب إلى حجور بن أسلم بن عليان بن عريب بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان ويقال لهم حجور الشام.

(٥) من قبائل شافعي ناحية خولان صعدة وبنو سعد أيضاً عزلة من ناحية وشحة قضاء وشحة (تعداد ج ٦ ص ٢٤٧).

(٧) هي المعروفة بوشحة بلدة من أعلا بلاد حجور.

(٦) عزلة من وشحة.

(٨) من ناحية ميدي لواء حجة.

(٩) ناحية من وشحة.

(١٠) عزلة من إقليم قضاء الشرفين.

وأحاطت به القبائل الموالية للإدريسي واستعصم فيه عامل الإمام وأتباعه، وأخذ الإمام يوجه الجنود والذخائر إلى حجور لمقاومة الخطر الناجم من هذه الزاوية ؛ واشتدت الحرب حول هذا الحصن الشامخ المتين وثبت فيه رجال الإمام وصابروا، حتى وافتهم النجدة التي بعثها الإمام لفك الحصر عنهم، ودارت معارك شديدة الإلتحام على طول بلاد حجور، وفي قلاعها الشامخة، حتى تمكن أصحاب الإمام من الوصول إلى حول الموشح، وتم لهم فك الحصر، وأوقعوا بالمجاهدين نكيات، غير أن المجاهدين هاجموا وثبتوا وتحملوا كل نكاية، حتى تغلبوا على عدوهم، وأنزلوا به الضربة الأخيرة ، ففرقوه، وأمعنوا فيه قتلاً وأسرّاً وأخذوا منه مغانم طائلة، وولت الأعداء الأدبار، وكان حظهم البوار والخسار.

ثم تجمعت جموع وأرادت الاستيلاء على قارة^(١) فقابلتهم الجنود الإمامية، وجرت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة الأعداء وفرارهم.

ثم كان بعد هذا بث سموم الدعاية الإدريسية في بلاد (عاهم)^(٢) ، وأخذت بلاد (عاهم) تفشل وتنخدع، وجنح بعض قبائلها إلى إتباع السيد محمد، وطمعوا في سائرها فأنشئ الإمام إلى تحصينها، وبعث الجنود لحفظها، وطرد الأعداء من أطرافها، واجتمعت قوات إمامية كثيرة في حصن (كشر)^(٣) من مختلف القبائل ، وأسرع أصحاب الإدريسي إلى الهجوم فساقوا قوة وذخيرة إلى وادي (مزرعة)^(٤) ونشبت فيه بين الفريقين حرب طاحنة ، ثم دارت الحرب في القرى المجاورة لسوق عاهم وامتدت إلى الخميسين^(٥) وانتصرت القوات الإمامية، حتى اقتربت من بيت الخميسي

(١) عزلة من ناحية وقضاء وشحة .

(٢) عزلة من ناحية كشر قضاء وشحة .

(٣) ناحية من قضاء وشحة كما سبق .

(٤) عزلة أنهم ناحية كشر قضاء وشحة .

(٥) سبق ذكرهما .

أحد رجال السيد محمد، وأصلت بيوته نيراناً حامية، ثم حدثت معارك خفيفة في (بني حملة)^(١) ثم امتدت رجال السيد محمد في حدود بلاد الشرف^(٢) وأخذوا يهاجمون القرى ويطاردون أهلها التابعين للإمام وبدأوا بالعمل في (جياح)^(٣) فاضطرب من في بلاد الشرف، فهرعت قوات إمامية إلى تلك الأطراف، واشتبك الفريقان في معارك خفيفة، ومطاردات محلية، وساق الفريقان قوات كثيرة وذخائر وفيرة، وامتد هذا الميدان من حجور إلى بلاد الشرف، وكلا الفريقين يسوق الرجال والذخائر إلى الحدود .

ثم تلا هذا حدوث سكون في الميادين في شهر ربيع الأول من عام ١٣٣١هـ، لمحادثات جرت بين القيادة العثمانية والسيد الإدريسي واقترح الوالي (محمود نديم) على جلالة الإمام أن يترئس ولا يتعجل في المقاومة ، وفي هذا الشهر تغلب الجند الإمامي على كافة قبيلة سحار في ميدان الشام، وسقطت الجوانب التي كانت موعلة في عنادها مثل آل حميدان وأهل الطلح^(٤) والأبقور^(٥) وقد أصيب ميدان الشام بتخاذه وتراخ من جانب القوات الإمامية في هذه الفترة، وانخذلت جموع من ذي غيلان^(٦) وابني شاكر^(٧)، ومكرت فكان هذا أحد الأسباب في ركود حالة الميدان الشامي .

ومنها فشل الطوابير العثمانية الفشل المعنوي فقد وهنت قواهم وخارت عزائمهم، حين ما اتصلت بهم الأنباء المتدفقة من الأستانة، والحروب

(١) عزلة من ناحية أفلح الشام قضاء الشرفين .

(٢) جبل واسع في الشمال الغربي من حجة ويشكل أحد قضواتها (المقحفي ص ٢٣٠) .

(٣) عزلة من ناحية أفلح اليمن من بلاد الشرفين السابق ذكرها (نفسه ٩٨) .

(٤) عزلة من سجار من صعدة (المقحفي ص ٢٦٤) .

(٥) قبيلة من خولان لها بقية في سحار بالشمال من صعدة (نفسه ٧) .

(٦) من غربي صعدة من قضاء رازح (نفسه ٣١٠) وذو غيلان من دومة من ناحية برط .

(٧) شاكر بطن من بكيل من ولد شاكر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل .

الطاحنة حواليتها بين الدولة العثمانية ودول البلقان، فكانت الدهشة عظيمة، والجزع بالغاً أشده، فلم يبق لهذه الطواوير معنى، ولا برزت بعمل يذكر.

هذا كله والنفقات التي تستنفدها الجنود قد بلغت مبلغاً باهضاً بتوالي الأيام، وأصبحت الحالة تنذر بعواقب غير سارة إذا لم يحدث ما يضمن الجراح، ويبعث النفوس على الثبات والتضحية الغالية.

ولما انتهى الكفاح في سحار توجهت الجنود إلى (جماعة وعرار) (والى رازح) ومن اتصل بهم ممن سارع إلى البغي ونكث وحارب تحت لواء السيد محمد، ولكن الجنود الإمامية كانت قد قلت، وأخذت الطواوير التركية تلح في تخليتها سبيلها لتعود إلى صنعاء وتوقفت عن كل عمل، وبعد مخابرة جرت بين الإمام والوالي محمود نديم، وصل إلى مقام جلالة الإمام (عصمت باشا) أركان حرب القوة العثمانية بصنعاء ورفقة السيد الكبير قاسم ابن حسين العربي أبو طالب، وبعد تراجع وتشاور تم الرأي على أن يذهب عصمت والسيد المذكور إلى صبيا إلى السيد محمد للتفاوض معه ولدراسة أحوال السيد، وما ينوي أن يقوم به، ولما عادا إلى صنعاء بهذا الرأي، رغب الوالي محمود نديم أن يكون الوافد إلى الإدريسي بنفسه، وبعد مخابرة بينه وبين الإمام تم الرأي على سفر الوالي ومعه السيد الكبير قاسم بن حسين العربي والسيد الكبير أحمد بن كي عامر، واستصحب معه من كبار رجاله^(١) جماعة، وعند وصولهم إلى تهامة، استدعى ثلاثة^(٢) من كبار علمائها وأعيانها، وجرت المخابرة بين الوالي والإدريسي لتعيين مكان للإجتماع فيه فأظهر السيد الاضطراب والتلكؤ، فإن هؤلاء السادات الذين رافقوا الوالي في سفرهم هذا اتجهوا إلى جيزان مقر الإدريسي، وجرت

(١) يذكر المؤرخ زبارة منهم: حسين كامل رئيس مجلس التدقيقات والقاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر.

(٢) هم مفتي المراوعة العلامة محمد بن عبد الرحمن الأهدل وعبد الباري بن أحمد الأهدل ورجب بك متصرف الحديدة.

بينهم وبينه مفاوضات شتى ، وبعد لأي وعنا وافق معهم على الاجتماع بالوالي ، وعين مكان الاجتماع مدينة (ميدي) من البلدان التابعة له ، فهرع الوالي على الباخرة الحميدية إلى ميناء ميدي ، وكان السيد محمد قد توسط الطريق بين جيزان وميدي ، فلما علم السيد خنس وتراجع ، وأبى أن يدخل إلى ميدي خشية أن يؤخذ ، وأرسل إلى الوالي بعض خواصه صارحه بهذا ، فضحك الوالي وأفاد الوالي مندوب السيد محمد ، ان له الرأي في تعيين مكان الاجتماع ، وأمره أن يذهب إلى السيد ويخبره في تعيين مكان الاجتماع ، وبعد محاورات تنازل السيد ورضى ان يقابل الوالي في (جيزان) ، مقر الإمارة الإدريسية ، فأبحر الوالي إلى ميناء جيزان ، وتم الرأي على أن تكون المفاوضات نهائياً في جيزان ، ويكون الرجوع ليلاً إلى الباخرة للمبيت ، وكل ما جرى في المواقف الخاصة والعامة لم يخرج عن كونه جداولاً وعناداً ، وفي بعض المقترحات الإدريسية التبرم من الإمام ، وحاول إغراء القوة العثمانية به وبنقض الصلح ، وأخيراً بعد اليأس من رجوع السيد إلى الحق وانقلابه عن مشربه الموبوء ، أخبره الوالي : إن كل ما تقترحه على الحكومة العثمانية يكتب ، وسيفاوض الحكومة في الأستانة بشأن ذلك .

وعلى هذا القول الجاف انتهت المفاوضات ورجع الوالي ومن صحبه في اليوم الثاني من جمادي الأولى عام ١٣٣١ هـ .

ويمكن القول بأن فشل هذه المفاوضات نتيجة محتمة ، ذلك أن السيد محمد لا يرم شيئاً إلاً بوحى ايطاليا ولا سيما في مثل هذه القضايا الكبرى ، وكانت المصلحة الايطالية تقضي بشبوب نيران الفتنة ، ضد الحكومة العثمانية في كل موقع وفي كل فرصة ، لهذا كان فشل هذه المفاوضات أمراً منتظراً بل متحقق الوقوع .

ومازال السيد محمد يجد في محاولاته ضد الحكومة العثمانية من

جانب، وضد الإمام من جهة أخرى وإيطاليا تقذف بالأموال إليه بدون حساب.

ونعود إلى تمام الكلام على ميدان حجور والشام، فنقول: قد أشرنا إلى رجوع سحار إحدى قبائل الشام إلى حظيرة الطاعة والجماعة، وحدث عقد صلح بين قبائل بني مروان، وخيران^(١) ومستبأ في ميدان حجور، وتجمعت الجنود الإمامية في آخر رجب من هذا العام عام ١٣٣١ هـ على مناجزة جماعة، فاشتبك الفريقان في معركة انتهت بانخزال كثير من جموع جماعة، واشتبكت قوات إمامية مع قبائل رازح في العر والمصنعة^(٢) انتهت بانتصار القوة الإمامية، وفوزها بالإستيلاء على المحلين المذكورين، وانهزمت جموع رازح بعد خسارة فادحة، واستولت القوة الإمامية على جبل (حرم)^(٣) واضطربت القبائل الشامية اضطراباً عظيماً.

وفي شعبان من هذا العام حدثت معارك خفيفة على حدود حجور، واشتبكت القبائل التابعة للإمام مع خصومهم في معارك شتى، انتهت بصد أتباع الإدريسي والتغلب عليهم.

وفي أول شعبان من عام ١٣٣١ هـ تحول الإمام من مقره في (القفلة) إلى السود للقضاء على شغب نشب في بلاد السود^(٤) وجبل عيال يزيد^(٥)

(١) ناحية من بلاد الشرفين (المقحفي ص ١٥٠).

(٢) جبل في وائلة من ناحية صعدة (الحجري ص ٤٧٨).

(٣) من عزلة بكيل ناحية شذا وغمار قضاء رازح.

(٤) السود ناحية تتبع قضاء عمران وهي بالجهة الشمالية الشرقية من مدينة عمران وتنقسم هذه الناحية إلى عدة عزل (الثور: اليمن دراسة موجزة ص ١٠٨).

(٥) جبل عبال يزيد والأشموور سلسلة جبلية غرب عمران وتتصل بها جبال دعان ويسيع وجبال ظهر حاشد ويتراوح ارتفاعها بثلاثة آلاف متر عن سطح البحر ويجدها من الشمال ريذة ومن الشرق عمران ومن الغرب بني صريم ومن الجنوب الجبل وهمدان (نفسه ص ١١١).

وانتظاراً لقدم الوالي محمود نديم فانه أراد الاجتماع بالإمام، وتم الرأي على تعيين حصن السود مكاناً للاجتماع .

وفي نصف شهر شعبان تم الاجتماع، وبعد اسبوع أمضاه الفريقان في السود يسوده الإحترام والود وحسن التفاهم والتعاون، تم الأمر على تظافر الجهود، والتعاضد والتعاون لمناجزة السيد الادريسي وخضد شوكته، قبل أن يتمكن من توطيد نفوذه في البلاد، وكان الاتفاق على تبديل الطواير العثمانية التي ترابط في بلاد الشام بغيرها، ممن ينشط للقتال، ويرغب في النزال .

وفي هذا الاجتماع سلم الوالي العثماني منشوراً رسمياً همايونياً^(١) أرسل من الأستانة للإمام ايداناً بالموافقة على معاهدة (دعان) التي أبرمها أحمد عزة باشا من جانب الحكومة العثمانية، وكان عزة باشا قد عاد من اليمن إلى الأستانة، وتقلد في هذه الآونة، نظارة الحربية في الأستانة كما يدل عليه لفظ المنشور الذي ننقله بنصه وأسلوبه وهو كما يراه القارىء:

(١) الهمايون: لفظة فارسية معناها المبارك والمقدس والملوكي وبهذا المعنى استعملتها الأتراك فقالوا باب همايوني وخط همايون .

(لفظ المنشور)

جناب مرجع السيادة عالي الإنتساب، فرع الشجرة «الزكية، طراز العصاة العلوية، اكرم السلالة الهاشمية، السيد الشريف الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد زكي حميد الدين حفظه الله تعالى من آفات السموات والأرضين. إذا وصل توقيعي الرفيع السلطاني. فليعلم ان نخبة آمالنا الشاهانية ان يعتلي ويزداد بتوفيقه تعالى شأن حكومتنا الإسلامية وشوكتها، وان تشيد بآثار العدالة والراحة أطراف ممالكنا المحروسة، وان تتأبد لكل فرد من اخوان الدين المبين اسباب السعادة والسلامة، وان تتميم حصول مقاصدنا الهمايونية في الخطة المباركة اليمنية، مطلوب وملتزم لون ملوكيتنا، ولذلك أقترنت بتصويننا الهمايوني، المواد التي تقررت بالذاكرة بينكم وبين ناظر امورنا الحربية، أحد الأعيان افتخار الأعالي والأعظم، ومستجمع المعالي والمكارم، عزة باشا زاد علوه، حين كان قائد قوتنا العسكرية في اليمن، لرفع الأحوال التي كانت منذ زمن متوالية في قسم الجبال من خطتنا اليمنية، ومؤدية لأنواع المضار بين المسلمين ولتأمين واستراحة تبعتنا الصادقين الساكنين في ذلك الجوار، ونفعهم وصدرت إرادتنا السنية السلطانية بوضع تلك المواد في موقع التطبيق وبياناً لكون مطلوبنا الشاهاني، المصحوب بالمعالي، صرف المساعي والإهتمام من جنابكم، ومكارم مناقبكم ايضاً، كما كان في رفع الشقاق المضر بالأهالي المحلية منذ سنين رقيقة، ويزيد المصافاة والاتحاد بين المسلمين وإراحة قلوب المؤمنين، كان إصدار أمرنا هذا عالي الشأن من ديواننا الهمايوني وإرساله نحو سيادتكم التي هي مرجع السيادة تحريراً في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٣١ هـ انتهى.

ونجد إياب الوالي محمود نديم من حصن السود، إلى صنعاء كان أول عمل عمله تجهيزه لثلاثة طوابير بكامل أسلحتها، تحت قيادة عثمان باشا.

وفي أوائل شهر شوال من هذا العام، خرجت من صنعاء في طريقها إلى الشام بدلاً عن القوة التي تحارب هناك، تحت قيادة موسى كاظم، وقد أعد الإمام لهذه الحملة كل لازم، على طول الطريق من صنعاء إلى صعدة، ولما انتهت هذه الحملة إلى الشام، أسرعت الطوابير التي ملّت من الحرب وسئمت من النضال، إلى الرجوع إلى صنعاء فرافقهم من قبل الإمام من أعد لهم كل واجب على طول الطريق، في عودتهم إلى صنعاء، وقد استقبلهم الوالي والجماعات من الناس، من أتراك وعرب، وعجبوا أشد العجب لما شاهدوا سلامتهم وصحتهم وكمال جميع مظاهرهم، وبعد أن بلغت الطوابير الجديدة إلى سحرار، واستعادت نشاطها اخذت تباشر أعمال الكفاح، بالتعاون مع القوات الإمامية، ونشبت أول معركة في آلة حميدان من أطراف سحرار، وكانت معركة حامية الوطيس، انتهت بتراجع القوات الأمامية لكثرة من أحاط بهم من قبائل جماعة، ثم ان القوات الامامية، نظمت الصفوف، واستجمعت الجهود وانزلت بالأعداء ضربة بالغة، وتناولوهم من كل جانب حتى تم لهم الإستيلاء على آلة حميدان، وآل ذرية، والمعلقة إلى أن وقعت هجرة ضحيان في يد الجنود الامامية، وتبع ذلك إحاطة الجنود (بمعجز)^(١) وما حولها.

وفي الجهة الغربية استولى المجاهدون على الأشعاف^(٢) والأزوار^(٣)، وأوغلت قبائل سحرار في النكاية بقبائل جماعة وإنزال الضربات الأليمة بهم، وأصيبت بلاد جماعة بنكبة حربية قاسية أتت عليهم (وعلى الباغي تدور الدوائر).

وفي خلال هذه الشهور والحرب تدور في ميدان الشام، وفي ميدان

(١) مجز: قرية في جماعة من بلاد صعدة فيها مركز بني جماعة (الحجري ص ٦٨٩).

(٢) من عزلة أنهم ناحية كشر قضاء ميدي.

(٣) من عزلة آل وقيش ناحية شذا وغمار قضاء رازح.

حجور، والقوات العثمانية رابضة في تهامة خشية أن يتوسّع نفوذ السيد الإدريسي في تهامة وكانت الرسائل والإنذارات قد انتشرت في طول البلاد وعرضها، تحذّر الناس من عواقب التّدخل الإيطالي بواسطة الإدريسي، وتدعوهم إلى اليقظة في حراسة بلادهم ودينهم، فكانت هذه الحرب المعنوية من أعظم الآثار في عرقلة مساعي السيد، وفشل أحواله.

وجاءت سنة ١٣٣٢ هـ والأحوال كما شرحناها لك قبل هذا جهود متظافرة لمناجزة الدّعوة الإدريسية، وحروب في قسمين من البلاد عظيمين، وسائر البلاد تتمتع بطمأنينة راسخة وسكون شامل.

وعامنا هذا عام ١٣٣٢ هـ هو العام الذي اعلنت فيه الحرب العالمية الأولى واصيب العالم بكارثة حربية، أكلت اكثر من عشرين مليوناً من البشر، وغيّرت التاريخ وجغرافية العالم ونحن نكتب هذا التاريخ في عام ١٣٦٣ هـ، والعالم في الشرق والغرب يموج في بحار من الدماء، وهو العام الخامس للحرب العالمية الثانية ولا يدري إلاّ الله وحده بماذا تنتهي به هذه الحرب ولله عاقبة الأمور.

وقد أسلفنا القول بان إيطاليا بذلت جهوداً كبرى لدى الإمام ليتخلى عن نصر الأتراك، ويدع حرب الإدريسي، فلم تجد مجالاً لديه، ونقول هنا ان كثيراً من الذين أنخدعوا بدعوة السيد قد أخذوا يتباعدون عنه، ويرون في الابتعاد عنه سلامة الدين والوطن لذلك وفدت طوائف من اشراف حرض آل حوذان وغيرهم إلى الإمام يستحثونه ويستنجزونه الجّد في كفاح السيد الإدريسي، فأرسل الإمام من وفد إليه الى صنعاء إلى الوالي للمفاوضة معه،

(١) يوافق هذا العام أوائل سنة ١٩٤٤ وقد مضى على الحرب العالمية نحو خمس سنوات فقد بدأت سنة ١٩٣٩ وانتهت سنة ١٩٤٥ بفواجع عظيمة كان آخرها رمي قنبلتين ذريتين على اليابان الى غير ذلك مما هو مسطر في كتب التاريخ.

وأرسل كثير من شيوخ بني مروان إلى الإمام يبذلون طاعتهم ورجوعهم إلى الحق.

وفي ربيع الثاني من هذا العام توجه الوالي محمود نديم إلى الحديدة، ثم إلى اللحية، ثم إلى الشاهل^(١)، وكتب الإمام إلى عامله بالشرف أن يقوم بكل ما يأمر به الوالي العثماني ثم عاد الباشا إلى اللحية.

وبعد هذا الشهر أمر الإمام أن تتوجه الجنود الموجودة في الشام لمهاجمة (جبل رازح) الجبل المتسع الجوانب الكثير الخصب القائم فوق سفوح تهامة، أبي عريش وضمند^(٢) وصبيا، والمسارحة^(٣) والحرث فانهالت الجنود العثمانية والإمامية على هذا الجبل من كل جانب ودارت رحى الحرب المضطربة.

وفي شعبان من هذا العام استولت الأجناد الإمامية على قلعة الغمار مركز جبل رازح، بعد أن سقطت أكثر بلاد هذا الجبل، وما انطوى شهر شعبان إلا وجميع بلاد رازح قد أذعنت لصوت القوة، وفاءت إلى طاعة الحق، بعد أن حل ببلادها الدمار والنكال وفي شهر رمضان انكفأت الجنود الإمامية إلى ديار جماعة لتصفية أطرافها وتطهيرها من الذين لا يزالون ميثالين إلى الشغب والإفساد، واتجهت الجنود إلى (عرو) ثم أجمعوا أمرهم وهاجموا (وادي معبار)^(٤) وفيه دارت معركة حامية الوطيس ثبت فيها الجند الإمامي وأبلى بلاءاً حسناً، وبذلت الطواوير العثمانية جهوداً جبارة مشكورة، وانتهت المعركة بفرار أشرار جماعة، وأوشابها بعد خسارة في الفريقين،

(١) الشاهل ناحية تابعة لقضاء الشرفين في الشمال الغربي من حجة بمسافة ٣٧ ك. م (المقحفي ص ٢٢٣).

(٢) قرية من تهامة بين صبيا وأبي عريش (الحجري ص ٥٥٣).

(٣) من قبائل تهامة من ناحية أبي عريش (نفسه ٧٠٧).

(٤) ما بين خولان ورازح.

ولم تمهلهم الجنود الامامية بل سارعت إلى التعبئة، وهاجمت العياني وصارة، وكتب الله النصر للقوات الامامية، وانخذل المعاندون، ورأت جماعة أن لا قبل لها بتوالي الضربات وتتابع الصدمات فبادرت إلى الطاعة، وقدمت رهائن الولاء، وسكنت الشرور بعد احوال طوال وخطوب جسام، وتدمير قرى، وتشتيت شمل وسفك دماء، كانت جديرة بأن تصان ليضحى بها في سبيل الحق، ولكن «ليقضي الله أمراً كان مفعولاً» وكان وقوع هذه الحوادث في شوال من هذا العام.

هذا، كان في ميدان الشام واما ميدان حجور فإن الإمام أمر بتمام أعمال هذا الميدان.

وفي رجب من هذا العام كان بثّ الجنود لتأديب قبائل حجور الموالية للإدريسي بني هني وبني سعد وشطر من بلاد ضاعن^(١) بني رخمة وقضاة الأودية، ونشبت معارك خفيفة ومطاردات متوالية، وكانت الحرب سجالاً، وتم للأعداء إحتلال حصن نعمان^(٢) بحيلة اهتمدوا إليها، وواتر الإمام إرسال المدد والذخائر وتطاولت المجاذبات، وكانت قبيلتا بني سعد وهني ومنازلهما، في الطرف الغربي من حجور بجوار مستبا وبني مروان هما مفتاح الفتن، وكانتا على جانب من الخبث والغلظة والتلون ولما رأى الإمام أن الإحتفال والإهتمام بميدان حجور لا يثمر غير الخسارات الوفيرة، ولا يخشى من تلك الزاوية أن يمتد شر إلى ورائها لذلك رغب الإمام إلى تخفيف الجنود من هذه الجبهة، وترك حامية خفيفة تحت إمرة القاضي الحازم محمد ابن سعد الشرقي، ووكل إليه تدبير البلاد في الحرب والسلام، فوقف في وجه العدو وردّه على عقبه كل ما همّ بغزو أو تقدم، حتى انتهى هذا العام، والحالة في هذا الميدان بين أخذ ورد، وتلين وشد.

(١) بلد من حجور شمالي حجة يتبع ناحية وقضاء وشحة.

(٢) جبل يطل على حجة من ناحية الجنوب.

وفي آخر هذا العام ضربت المدافع البريطانية (باب المندب)^(١) الميناء اليمنية الهامة، وتمّ لهم احتلالها، ثم كُرت عليهم القوات العثمانية وعصّدتها القبائل اليمنية الجنوبية، قبائل لواء تعز وما اتصل به من تهامة وما قبله من الحواشب^(٢)، وقبائل وفيرة يمنية تطوعت للجهاد ووثبت كالآساد، ونصر الله المسلمين واستعادوا باب المندب، وأخذت القوات العثمانية تنظم صفوفها، والقبائل اليمنية تشدّ إزرها لحماية القسم الجنوبي من غارات البريطانيين، والوقوف في وجه الأجانب إن هم ارادوا باليمن شراً وسنذكر تفصيل ذلك في ما يلي هذا ان شاء الله تعالى، وانتهى بهذا القول في حوادث سنة ١٣٣٢ هـ في اليمن.

وبزغ هلال العام الجديد عام ١٣٣٣ هـ والأحوال في اليمن هادئة إذا أستثينا حركة الإدريسي في القسم الشمالي من تهامة، وما عدا ذلك فالأمور متسقة والشؤون مجتمعة والإمام والقوات العثمانية في تفاهم تام وحسن تجاور كما يرام، وليس في البلاد ما يدعو الى القلق غير الحركة الإدريسية وما نجم من مبادي عدوان إيطاليا أولاً ثم بريطانيا على باب المندب ثانياً.

ومضت سنة ١٣٣٣ هـ والأحوال هادئة، ولم يحدث في اليمن حادث يستحق أن يثبت ويسجل غير أمرين.

أحدهما تجريد الإمام لعصابة من المجاهدين تحت إمرة السيد النبيل

(١) هذه الحادثة كانت بسبب المنافسة بين بريطانيا وحلفائها وبين ألمانيا والدولة العثمانية في السيطرة على المسالك المائية في البحر الأحمر وقد كتب عنها أحد الباحثين الانجليز مؤلفاً ترجمة الدكتور سيد مصطفى بعنوان العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن أبان الحكم التركي ١٩١٤-١٩١٩. انظره.

وانظر بشر الشاء الحسن ص ١٤٢ وأئمة اليمن ص ٣٠٢.

(٢) قبيلة كبيرة مساكنها في شمال الحج وجزء متناثر في جبل صبر المطل على تعز (المقحفي ص ١٣٢).

أحمد بن قاسم حميد الدين الى قضاء رداع وما يتصل به من قبائل البيضاء^(١)
لتأديب قبائل أمعت في الشرور والمفاسد.

وثانيهما ثبوت القائد العثماني سعيد باشا^(٢) في مهاجمة مستمرة عدن
التي تحكمها بريطانيا، فقد غزا على رأس قوة عثمانية يؤيدها المتطوعون من
قبائل لواء تعز، وما جاوره، وكثير من المشايخ كآل نعمان وغيرهم، وزحف
حتى استولى على (لحج)^(٣) وفر سلطانها العبدلي^(٤) إلى (عدن) وقابلتهم
الجنود البريطانية، بهجمات حامية، ودفاع قوي، ولكن كل ذلك ذهب عبثاً،
فقد ثبتت القوات العثمانية واليمنية، وأنزلوا بالبريطانيين خسائر فادحة،
وضايقوهم وألجأوهم إلى الإنكماش في عدن، تحميهم الطائرات والأسلاك
الشائكة والألغام، مخافة ان تقتحم القوات العثمانية عليهم الأبواب.

وسنشير في ما يلي: ان هذه القوات المرابطة في لحج المحاصرة
لعدن مكثت في مراكزها، وثبتت في مرابطتها حتى انتهت الحرب العالمية
وعقدت حكومة الأستانة الصلح مع الحلفاء، فكان ما سوف نذكره في
حوادث عام ١٣٣٧ هـ ونريد أن نسجل هنا للتاريخ ان الجهود التي بذلتها
القبائل اليمنية في حروب لحج، ضد البريطانيين جديرة بالإكبار والإعجاب،
وإليها يرجع القسط الأوفر في نجاح الأعمال في هذا الميدان الخطير، ولا
نعني بهذا بخس القوات العثمانية حقها والله تعالى يقول (ولا تبخسوا الناس

(١) البيضاء: مدينة كبيرة في الجنوب الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٧٢ كم وهي على مقربة من
كيرس (المحففي ص ٦٣).

(٢) ذكر هذه الحادثة المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ص ٢ ص ٣٠٢ وهدية الزمن ص ٢٠٩.

(٣) مخلاف كبير في الشمال الغربي من عدن بمسافة ٢٥ ميلاً.

(٤) هو السلطان علي بن أحمد العبدلي.

أشياءهم^(١) انما نريد ان نسجل حقيقة تاريخية قد يطويها الإهمال في زواياه الحافلة بكثير من الحقائق الضائعة.

وفي سنة ١٣٣٤ هـ جهز الإمام حملة تأديبية إلى قبيلة الحدا من القبائل الشرقية وعهد الى حاكم دمار إذ ذاك السيد الكبير عبد الله بن احمد الوزير^(٢) بقيادة هذه الحملة، وآزره المقداد^(٣) (من بلاد أنس) بعصاة قوية، وكانت قبيلة الحدا^(٤) قد أمعت في غيها، وشرهت إلى طغيانها فساد فيها إخافة الطرق وعدوان القوي على الضعيف، واضطرب الأمن فيها، فتولت هذه الحملة تأديبهم، ونشبت بين الفريقين معارك في بني الفراسي^(٥) وبني عزيز. وامتدت الى منازل آل القوسي^(٦) وبني زياد^(٧) وبني بخيت^(٨)، وانتهت هذه الحملة بخنوع هذه القبيلة واستسلامها ورضوخها.

وفي عام ١٣٣٥ هـ بدرت بوادر الشر تلوح في جبل (عيال يزيد) وأخذوا في مهاجمة (كحلان تاج الدين) بغياً وتعصباً جاهلياً وضغائن نفوس تسرع إلى الشر فساق الإمام الجنود إلى هذا الجبل لتأديب قبائله المذعنة للشر، ولما رأت قبائل الجبل تزاحف الجموع، وتكاثر الجنود سارعوا بتقديم رهائن الطاعة، ووثائق الانقياد لما يأمر به الإمام، وكفّوا عن عدوانهم على قبائل كحلان، وحيثنذ قبل منهم الإمام، وصرف عنهم الجموع، وصفح عما

(١) الآية.

(٢) هو العلامة الذكي عبد الله بن أحمد بن محمد الوزير ولد سنة ١٣٠٧ ونشأ في حجر والده وأخذ عن علماء صنعاء وغيرها وتولى مناصب متعددة وشارك في الثورة على الإمام يحيى وكان من المعدمين سنة ١٣٦٧ (نزهة النظر ص ٣٦٩).

(٣) هو القائد نصير الدين علي بن المقداد بن أحمد بن عبد الله الأنسي السابق ذكره.

(٤) قبيلة مشهورة موطنها في الشمال الشرقي من دمار بمسافة ٣١ كم.

(٥) من موطنها ناحية عتمة دمار.

(٦) من الحدا (المقحفي ص ٣٣٨).

(٧) من الحدا. (نفسه ص ١٩٤).

(٨) مخلاف مشهور من مخاليف الحدا بالجنوب الشرقي من صنعاء (نفسه ص ٤٥).

فرط من سيئاتهم، ولكن هذا الصّفح قد حملهم على الإغترار، وزَيّن لهم ما كانوا به يوجفون، فما انطوت أيام عام ٣٥ وأقبل عام ١٣٣٦ هـ إلّا وقبائل الجبل تزحف إلى الشر شرهةً مندفعة، فأخذت تخيف المارة وتسلب الأموال، وتخيف السبل، وتعلن ثورتها، وتمردها على الإمام وكررت عدوانها، فانتقل الإمام إلى خمر، واخذ في جمع الجموع وتجهيز الجنود، وما هي إلّا بضعة أيام فاذا جبل عيال يزيد يرزح ويئن والجنود تحيط به^(١)، وتولى الإمام قيادة هذه الجنود بنفسه فانتقل الى (دعّان) أحد قرى الجبل، وتولّى تأديبهم واذاقهم ما كانوا به يستهزؤون، فارعوت هذه القبائل وسلمت جميع الأشرار المفسدين، وحق بهم العذاب الأليم، وقدمت رهائن الطاعة والخضوع بعد أن ذاقوا مرارة العقاب الرادع.

وفي هذا العام عام ١٣٣٦ هـ جهز الإمام حملة عسكرية تحت إمرة السيد الكبير عبد الله بن احمد الوزير، لتأديب قبيلة (نهم) إحدى قبائل المشرق، وعهد إليه بإصلاح شؤونهم، واطفاء نيران احقادهم وشروورهم، وكانت الأحداث والشور فاشية في هذه القبيلة فتولى تأديبهم وانقلب برهائنهم ومشايخهم، بعد أن التأمت شؤونهم.

وبعد ان فرغ الإمام من تقرير شؤون جبل عيال يزيد انتقل من دعّان، واتجه في شهر ذي القعدة الحرام من هذا العام (الى الروضة) إحدى منتزهات صنعاء وصحبه رجال موكبه، واجتمعت حول الإمام القبائل المنبثة حوالي الطريق على كثرتها، وقدم الروضة في اليوم السابع عشر من القعدة في موكب يأخذ بالأبصار، اجتمعت فيه الرؤساء، ومن سائر الطبقات جموع وفيرة، وهرع من في صنعاء من أهلها لاستقبال الإمام ومشاهدة موكب

(١) يقول المؤرخ زبارة في هذه الحادثة في ليلة النصف من رمضان سنة ١٣٣٥ كان تجمع الآلاف من قبائل جبل عيال يزيد للانتصار للعرشي الواصل إليهم فكان قدوم أهل الجبل في هذه الليلة إلى كحلان.

الإمامة الحافل بالجلال والروعة، وخرجت العساكر العثمانية، وأمرأؤها العسكريون، وغيرهم للقيام بواجب الإستقبال البهيج، واستقر الإمام في داره بالروضة، وقابل الناس على اختلاف طبقاتهم، ونال كل فريق قسطه من إقباله وحسن تلقّيه، وانصرفت الجموع مغتبطة مما شاهدت وعايّنت، وقد كان قدوم الإمام إلى الروضة من اعظم التدابير الحازمة، والأعمال المجدية إذ أن كثيراً من القبائل المجاورة لصنعاء كانت قد أخذت في ضروب من الشرور، وأصبح الأمن ينزوي ويتقلص والإعتداء ينتشر ويستفحل، وكان الوالي العثماني وقائد القوات العثمانية في جولة في جنوب البلاد وغربها، فبقدم الإمام اطمأنت الاحوال، وهدأت النفوس، وتوارت الشرور وأمنت المارة، ونفذت الأحكام واخذ الإمام يدأب في اعماله في مقره بالروضة ووفود القبائل والحكام والأعيان تتواصل وتتواتر، وانطوت صفحة هذا العام ١٣٣٦ هـ، وجلالة الإمام مقيم في الروضة بجوار صنعاء وبهذا انتهى الكلام على القسم الثاني من كتابنا هذا كما رسمناه في ديباجة الكتاب.

هذا ما آثرنا تطريز هذا القسم الثاني به، وهنا انتهى بنا القول على القسم الثاني من الكتاب، وقد شمل كما رأيت جميع الحوادث والشؤون، منذ معاهدة دغان إلى ختام عام ١٣٣٦ هـ، وسنبداً في القسم الثالث من كتابنا هذا متوخين الطريقة التي سلكناها في القسمين الذين فرغنا من العمل فيهما، من الميل إلى الإيجاز مع الإلمام بأطراف الحوادث ولبابها، باذلين الجهد في حسن تنسيقها وربطها بوثاق الإئتلاف والإنسجام، حريصين على سرد علل الحوادث وبيان آثارها واطوارها، ليكون هذا الكتاب مؤدياً للحاجة التي ينشدها قراء التاريخ ويهواها رواد البحث ويجنح اليها ذوق العصر، وأسلوب التاريخ الحديث ومن الله نسأل الإعانة والتوفيق إلى الإحسان في ما نقوم به والحمد لله رب العالمين.

فهرست

صفحة

٥	تقديم
١٥	القسم الأول
١٩	تلخيص حوادث ختام سنة ١٣٢٣هـ
٢٣	حوادث سنة ١٣٢٤هـ
٣٣	أحوال اليمن في خمس سنوات من ١٣٢٤هـ إلى ١٣٢٩هـ
٣٣	الفصل الأول
٤٤	زيارة الإمام لصعدة (وأسباب ذلك)
٤٥	عودة إلى أعمال المجاهدين
٤٧	حملة رداع وقعطبة وأعمالها
٥٤	- الفصل الثاني
٥٨	- الفصل الثالث
٧٠	صلح دعان
٧١	نص الصلح
٨١	القسم الثاني
٨٣	الإمارة الإدريسية ومبدأ نشوئها
٩٨	لفظ المنشور

تطلب كافة كتب « منشورات المدينة » من

شركة
دار التوزيع
للطباعة
والنشر

الاصحافية
أولاً من جهة اللغات
ثانياً من جهة مسافة

مطبعة : ١١٢-١٤٩٩
هاتف : ٨٠٦٢٥٦
بيروت - لبنان